عبد الفتاح أبو مدين

حمزة شحاتة ظلمه عصره

الطبعة الأولى
١٥/٩/١٤١٨هـ الموافق ١٣/١/١٩٩٨م

١٠٦
النادي الثقافي الأدبي
جدة - المملكة العربية السعودية

ح نادي جدة الأدبي ، ١٤١٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

أبو مدين ، عبدالفتاح

حمزة شحاته: ظلمه عصره - جدة

... ص ؛ .. سم

ردمك : ١ - ١٦-٧٥٧-٩٩٦٠

١ - المقالات العربية - السعودية ٢- شحاته، حمزة

أ - العنوان

ديوي ٨١٤،٩٥٣١ ١٨/٢٩٦٨

رقم الإيداع : ١٨/٢٩٦٨

ردمك : ١ - ١٦ - ٧٥٧- ٩٩٦٠

المملكة العربية السعودية

الرئاسة العامة لرعاية الشباب

النادي الأدبي الثقافي بجدة

ص . ب: ٥٩١٩ـ ت ٦٨٣٤٦٦٣

كلمة .!

• هذه خواطر ، مردها قراءة سريعة .. لبعض شعر الأديب الكبير .. حمزة شحاتة رحمه الله ، وكذلك بعض نثره ، وشيء مما كتب عن هذا وذاك .!

ولن أزعم أنني في هذه الصفحات القصار .. أقدم دراسة خليقة أن تكون مرجعاً ومصدراً .. من مصادر الدرس الأدبي . إلا أن هذه الوقفات ، لا تخلو من تأمل .. في هذه الأنماط التي قرأت لهذا الأديب البعيد الصوت ، وللأقلام التي عنت .. بما أتيح لها من اطلاع على زاد جد قليل من أدب شحاتة .. الذي تفرق وضاع بدداً ، لأن صاحبه لم يحفل به ، وقد زهد فيه ، لا أقول إنه لم يرض عنه .. من حيث القوة والجودة ، ولكن هذا الأدب لم يفد صاحبه ، ولم ينهض به ، فاحتقره ، ولعله اعتبره .. مغرما .

إن إعجابي بشخصية حمزة شحاتة القوية ، وإعجابي بالتالي بشعره الرائع القوي ، وبنثره كل ذلك أدى عندي إلى إعجاب بعيد .. بهذا الرجل العبقري .

ولقد قرأته . قرأت نثره ، في محاضرته التي مضى عليها سنة : " الرجولة عماد الخلق الفاضل " . وسبق أن قرأت رسائله إلى ابنته " شرين " كما قرأت " رفاة عقل " ، وكتبت صفحات عنها في كتابي: " في معترك الحياة " . وقرأت ما تحدث به بعض أدباء مصر عن أديبنا الكبير . وقرأت بعض شعره .. في ديوانه المطبوع . فأخذت أتأمل .. في تراكيب هذا الشعر وديباجته ، وجمال الأداء فيه ، وقوته . وقرأت من قبل ، قبل أربعين سنة .. القصائد التي نشرها له عبدالسلام الساسي رحمه الله في كتاب : " الشعراء الثلاثة " . الذي صدر عام (١٣٦٨هـ).

وقرأت رائعته : (جدة) ، وغادة بولاق ، وقصيدة : " بعد صفو الهوى " .

وكلما قرأت شيئاً من روائعه ، ازددت إعجاباً بهذا الأديب الكبير . وصدق الأستاذ عزيز ضياء.. الذي ألف عنه كتيّبا بأنه : " قمة عرفت ولم تكتشف ".

وحين صدر ديوانه ، الذي حوى بعض شعره ، وهو ما بقي من أدب حمزة شحاتة ، بجانب القليل جداً من النثر ، شرعت أقرؤه بأناة وتأمل .. ووعي وانبهار .!

وإذا صدَّ أديبنا شحاتة عما كتب ، وإذا كان هذا الرجل أعرض عن أدبه ، أو ما بقي ، وهو نزر يسير ، وهو أثر متميز، فإن هذه البقايا .. تظل مدار دراسة ووقوف عليها .. في أطروحات الدارسين والمهتمين بالأثر القوي الفاعل ، لأنه أصبح ملكاً للتاريخ ، يتأمل فيه القارىء الجاد ... المهيأ لتتبع ذلك النبع الغزير النمير ، ليعمق في معطياته الدفاقة بالإبداع الحق ، الحقيق بالدرس المتمكن ، لأن له شأناً .. وأي شأن .!

وقد وقفت على بعض شعره ونثره ، فكانت هذه الصفحات ، التي حاولت فيها شيئاً من تأمل ، عبر مطالعات عجلى ، بغية الإلمام بمعاني أديبنا الكبير ، التي تركها فيما بقي من شعره ، وفي بعض ما كتب عنه وقيل . على أمل أن يضطلع أصحاب الرسائل الجامعية والدارسون .. بالإهتمام بهذا الأدب الحي والنابض ، ذلك أنه أدب قوة ، ولم يكن في يوم من الأيام أدب ضعف ، يتسم بالهزال والتخاذل ، لأنه أدب نفس قوية ، مسارها إباء وشمم وعزة . وإذا أتيح لي المزيد .. من هذه القراءة ، فسوف أقلب صفحات ديوان الشاعر المجيد ، لأرى نماذج من الشعر .. الذي يستفز القارىء الواعي ، ليدرك تلك المعاني.. البعيدة الغور ، لأنه شاعر قرأ فلسفة البلاغة ، فجاء شعره كذلك.

عبدالفتاح

(١)

يقول الاستاذ عزيز ضياء.. إن الاستاذ حمزة شحاتة " قمة عرفت ولم تكتشف " وإذا سلمنا مع أبي ضياء.. إلى ما ذهب إليه. فنحن حين نمضي في قراءة – الكتيّب – الذي يحمل هذا العنوان.. من المكتبة الصغيرة، لصاحبها الاستاذ عبدالعزيز الرفاعي رحمه الله، الذي يحمل رقم – ٢١ –، والصادر بتاريخ ربيع الآخر " ١٣٩٧ " هـ ، وشهر مارس ١٩٧٧م من تأليف أبي ضياء. فإنا لا نجد جوابا عن عدم اكتشاف هذه القمة. واستطيع أن أقطع فيما بيني وبين نفسي.. أنني لم أجد الجواب عنده! فهل وجده غيرى؟.. ولعل أستاذنا عزيزاً.. دار حول نفسه، أو حول هذا الموضوع ، ولكنه لم يرد أن يقول أو يعلن.. لماذا لم تكتشف هذه القمة ؟. ولا أعتقد أن أبا ضياء.. يذهب بعيداً إلى القول، إلى أن الاستاذ شحاتة رحمه الله.. ولد في غير عصره.. لا أدري!.

أستطيع القول إن الاستاذ شحاتة ظلمه عصره.. فظلم نفسه، وبذلك ظل مجهولاً بتعبير أبى ضياء، مجهولاً في معارفه وثقافته الواسعة.

ورب سائل يقول : كيف نكتشف قمة.. لم نقترب منها، ولم نرها ؟.. وهو رد على أبى ضياء، لانا لم نر لهذه القمة بعداً.. أو أبعاداً، وبتعبير آخر.. لم تكن قريبة، ولم يتم لنا رؤيتها.. بالترحال إليها ومشاهدتها، ومعرفة حالها ومناخها.. وتطاولها في الفضاء !

رب سائل يقول هذا أو أكثر من هذا.. فكيف نرد عليه؟. وأنا وأمثالى عشنا مرحلة من حياة الاديب الكبير، لم نر له إلا الشيء القليل.. فيما احتواه كتاب - الشعراء الثلاثة - الذي صدر في عام - ١٣٦٨ - ومقدمة " شعراء الحجاز في العصر الحديث "، الذي صدر.. في عام - ١٣٧٠هـ - وأصدر كاتبها الاستاذ حمزة شحاتة نفسه إلى انكار نسبتها إليه، ولعل مرد ذلك أن جامع ذلك الكتاب .. الاستاذ عبدالسلام الساسي رحمه الله قد حذف منها كلمات أو سطوراً - لا أدري - لأن أحداً لم يعلن.. لماذا تبرأ منها كاتبها ؟

ورأينا نتفاً بعد ذلك مثل - حمار حمزة شحاتة - -، وهو كتيب صغير أو صفحات معدودة.. أصدرها الاستاذ - عبدالله الماجد - كما قرأنا قصائد وشيئاً يسيراً من نثر أديبنا شحاتة، وهي رسالة موجهة لصديقه الاستاذ محمد عمر توفيق.. رحمه الله، وقد كتب كلمة أو مقدمة لتلك الشجون التي أصدرها الاستاذ - أنور زعلوك - عن دار الشعب بمصر في نوفمبر عام (١٩٧٥م). ثم قرأنا قصيدة جميلة.. عنوانها : " غادة بولاق ". وبعد رحيل الاديب الكبير بعشرة أعوام.. طبعت - تهامة - محاضرته المتميزة : " الرجولة عماد الخلق الفاضل "، التى ألقاها في جمعية الاسعاف بمكة المكرمة في ذي الحجة (١٣٥٩هـ). وحتى كتاب أبى ضياء عن القمة التي عرفت ولم تكتشف. لم يصدر إلا بتاريخ ربيع الآخر (١٣٩٧هـ)، وكذلك ما بقي من آثاره شعراً ونثراً، لم يخرج منه شيء في حياته !

وبعد ظهور ما أتيح من أثار أو معطيات القمة.. وضياع الكثير، وهو يعني ما أشرت إليه، بأن الرجل ظلم نفسه، ولعله معذور فيما صنع، لأنه ظل مجهولاً، وهذا الجانب يؤيد شيئاً من رأي أبى ضياء، ولعل الاستاذ حمزة

كره الحياة وسئم الناس، فآثر العزلة والبعد، وحبس نفسه.. كما فعل شيخ المعرة، ولا أدل على ذلك من أن الاستاذ شحاتة.. لم تعرفه جيرته، ولم تعرف مكانته، إلا بعد أن نشر - تحقيق صحافي - في جريدة الاهرام، عنه أو على لسانه، فجاءوا يعتذرون إليه، وإمعاناً في العزلة والبعد عن الناس، أعلن لجيرته.. بأن من تحدثت عنه الاهرام ليس هو، وإنما إنسان آخر، وأن الأسماء متشابهة، وإنما هو رجل قابع في ذلك السكن بجانبهم لتربية حفنة بنات. ولعل جيرته قنعوا بما سمعوا أم ظلوا في شك !

وأنا قست بعد الاستاذ شحاتة بما صنع المعري لنفسه، حتى قال : " أرانى في الثلاثة من شجونى " . لكن شيخ المعرة.. كان له أنصار وأتباع ومريدون، أخذوا عنه.. وسجلوا ما أخذوا وحفظوه، وعنوا بآثاره ومقولاته.. وما اسطاعوا أن يحفظوا منه، حتى ظهرت بعد مماته. وبقيت ألف سنة ونيفاً، وماتزال تتداول وتدرس! وقد أتيح لها من يحققها ويشرحها ويدرسها.. شعراً ونثراً. لكن أستاذنا حمزة شحاتة.. دفعه الجحود لمكانته الادبيه البارزة المتوهجة وعبقريته الفذة وتميزه.. إلى الاعتزال والانقطاع

والبعد عن الناس، ودفن.. ما بقي عنده من آثار، حرقاً وتمزيقاً، لأنه إنسان فيه إباء واعتزاز بالنفس. ولأنه لا يحسن المداجاة والمداهنة.

ولعل ما وجد ونشر.. كان بأيدى بناته وأصدقائه.. الذين كانوا حراصاً على اقتناص أي شيء مما يقول شعراً ونثراً، وكتب بطرق شتى، مباشرة وغير مباشرة، وهو ما ظهر بعد وفاته. وقد كان ضنيناً به، لذلك لم ينشره مطبوعاً في حياته، ولا عبر الصحف.. إلا ذلك الاقل الاقل، الذي اقتنص على نحو ما، وربما بغير رضاه، ولعل مرد ذلك أنه لم يقدر، ولم ينل بعض ما يستحق من جاه، وهو في حياته العملية.. لم ينل أكثر من مدير شركة - نقل الحجاج - في وطنه، ومحاسب للبعثات في مصر. إذن هو لم يكتب وينشر.. ماهو حقيق بأدبه المتميز القوي.!

إذن هو زهد في الادب والفكر، ولعله قدم على ذلك الاختيار، وهو عدم نشر ما أنشأ وبثه بين الناس! ولعله رأى بآخرة، لو أنه تاجر وسمسار أو من عرض الناس.. لكان أجدى له. وهو الذي وعى الفكر في مضانه،

وهو فكر مستنير مشع قوي ومتين. وهو قد قرأ قول المتنبي :

و العقل يشقى في النعيم بعقله

أخو الجهالة في الشقاوة ينعم

وهو رجل يؤمن بالقوة.. ويتخذها له منهاجاً، لأنها منطلق حياة، وهو يردد ذلك في مواضع كثيرة.. من محاضرته المبكرة، في شهر ذي الحجة عام- ١٣٥٩هـ - " الرجولة عماد الخلق الفاضل ". وهو فيها كأنه يخطط لحياة أمة من خلال القوة والمثل والقيم والشجاعة، مع التنفيذ، ذلك أن تخطيطاً بغير تنفيذ لا يحقق شيئاً.

يقول في ص (٤٣) من محاضرته تلك: " وفي وسعنا الآن أن نستخلص مما تقدم أن الرجولة.. كمظهر للقوة ومقدرتها، كانت أصل الشعور بمحاسن القوة، والاصل الذي اشتقت منه القيادة المحدودة والزعامة المطلقة.. بعد ". ويقول في ص (٥٠) : " كانت القوة في الرجل مصدر الاعجاب والتقديس، والقوة ما تعرف

الهوادة في تأمين سبيل حياتها ومطالبها ". ويقول في ص (٦٩) : " فالايمان بالقوة ونفوذها، هو حقيقة الحياة، وهو قانونها في القرن العشرين ؛ وفي القرون الاولى، وفي أطوار الحياة القديمة البعيدة ".

والدعوة إلى الفضائل حلم جميل بالحياة، كما يجب أن تكون، لا كما هي قائمة، حلم ما تحققه إلا القوة.

ويقول في ص - ٧٠ - عن الكرم بأنه " دلالة افتخارية على اتساع نفوذ القوى، ثم هو يعد صفة لازمة لمن تحملهم قوتهم من الجماعة محل الابطال والقواد. ويقول في ص (٨٥) : " فالحياة قوة النفس وحرية العقل، وميزان الضمير". كما يعلن في ص - ٩١ - ، " أن الحق للقوة، لأنه كان في كل أدواره مهضوما ". ويقول في ص - ٩٩ - " هذا هو الحياء الذي هو القوة. افتحوا عليه بصائركم، تفتحوها على القوة التي هي من قوة الله.. من قوة شريعته.. ومن قوة فطرته ".

وانظروا إلى وصفه للقوة بقوله في ص - ٦٢ -:

" فالقوة أقدر على الارتجال والوضع ، لأنها أوسع مجـالاً، وأوضـح غنـى وأقـدر علـى الاضطــلاع بمســؤوليات مــا ترتجل، وأعمق ميلاً إلى توسيع دائـرة النفـوذ وإطلاقهـا ".
وفي ص – ٦٤ – يقول : القوة بمعناها الجديـد (الثروة – النفوذ).

حين فقد الاستاذ شحاتة تلك الخصـال التـى رامهـا وتوشح بها، انتابــه اليـأس وقـاده لا أقـول إلـى الاستسلام، وإنما إلى العزلة والانطواء على النفس، ولعله رأى ذلـك.. أجدر به وبكرامته وإبائه. وأنا لا أظلمه فوق ظلمه. ولعلـه يصدق عليه تعبير الجاحظ، وهو أن أموراً أقوى منه ومـن مقاومته.. اصطلحت عليه، منها ضعف بصره ثم فقده فـي آخـر أيـام حياتـه، وهـو قـد توفـي وعمـره " سـتون سـنة ميلادية ". والقل والغربـة وتربيـة حفنـة مـن البنـات. وفـي مقدمة كل ذلك.. اعـتزاز الرجـل بنفسـه، لأنـه لـم يـرد أن يذل.. ولقد كرمه خالقه. فآثر البعـد.. شـجاعاً كريمـاً. فقد باء بالحرمان والنكران.. لمكانته الفكرية، فاختـار – الظـل – كارهـاً. لأنـه قـرأ قــول صـاحبــه.. الـذي أعجـب بــه، واستشهد بشعره.. أبى الطيب، الذي يردد :

ذل مـــــن يحســــد الذليـــل بعيـــش

رب عيـــش أخـــف منـــه الحمـــام

وأياً كان تفسير البيت، أهـو إخبـار أو دعـاء، فإنـه يؤدي ما أراد أبو الطيب.. أن يصف به ليس الذليل وحده وهوانه على نفسه وعلى النـاس، وإنمـا الـذي يحسـده. لأن الذل يمتد ليشمل راغبيه.. وهم عالمون بمعطياتـه ونتائجـه وتثمين أهله.

(٢)

وإنا لنقـرأ قول الله عز وجل في قصـة – قـارون – " قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل مـا أوتـي قارون إنه لذو حظ عظيم • وقال الذين أوتـوا العلـم ويلكـم ثـواب الله خيـر لمـن آمـن وعمـل صـالحـاً ولا يلقاهـا إلا الصابرون ".. إلى قوله تعالى: " وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون وي كأن الله يبسط الرزق لمـن يشـاء مـن عباده ويقدر، لولا أن منّ اللـه علينـا لخسـف بنـا ". وقـول

المتنبي.. يقابل معنى هذه الآية الكريمة.. في طلب الاهداف والتطلعات والاماني، وهو ما ترفع عنه الشاعر والكاتب.. حمزة شحاتة.. بإبائه وشممه وقوة ارادته ونفسه الكبيرة. وهو قد قرأ كذلك قول المتنبي :

وإذا كانت النفوس كباراً

تعبت في مرادها الأجسام

لقد قرأت محاضرة أديبنا الكبير مرتين.. بينهما مسافة من الزمن، وفي كل قراءة يتملكنى الاعجاب بهذا المستوى الذي نسجت فيه المحاضرة، التى بلغت صفحاتها نحو المائة. وهي أقرب إلى الفلسفة والمنطق.. في عمقها وأدائها، وهي نتاج توافر قراءة طويلة.. في فنون شتى من الأدب وعلم الاجتماع والحجاج والمنطق والاخلاق.

ويحدثنا الاستاذ عزيز ضياء.. بأن محاضرة الاستاذ شحاتة تلك.. أخذ القاءها اكثر من أربع ساعات.. " ص – ٦٣ – حمزة شحاتة: قمة عرفت ولم تكتشف ". ويقول الاستاذ ضياء عنها: " وهنا لابد من وقفة قصيرة، نلمس فيها نوعاً من وزن الاسلوب الذى كتب به حمزة

هذه المحاضرة وتمعن مستوى الاستاذية في اللغة، نحواً وصرفاً ومفردات، وقدرة على أداء المعنى، وانتقاء الالفاظ.. التي يراعى فيها دقة الجرس الموسيقي في اللفظ.. بالنسبة للجملة، ثم منهج التحليل للموضوع الذى عالجه، وهو كما أراده.. لا كما اقترح عليه "، يعني العنوان. فالمقترح هو : " الخلق الكامل عنوان الرجولة ". وجعله المحاضر : " الرجولة عماد الخلق الفاضل ". ويقول الاستاذ حمزة شحاتة في مطلع كلامه عن التعديل في العنوان : إن حديثي في الواقع ولا أسميه محاضرة، عن الخلق الكامل كعماد للرجولة، لا عن الضرورة كأساس للخلق الفاضل لكني اخترت أن أمهد لهذا الحديث هذا التمهيد، وأن أزحزح العنوان المقترح عن وضعه قليلاً فيكون " الرجولة عماد الخلق الفاضل " لا الكامل، فمايزال الكمال نشيد الحياة الممطوطة، ووهمها الذى تتسابق أبداً في طلابه ".

والرجل الواثق من نفسه، يسمي ما يقدمه حديثاً.. لا محاضرة، وهو دأب النفوس الكبار، وكم من غث القول ينثر على الساحة.. في كل مكان من الارض باسم، المحاضرات، جزافاً.!

ويذكر الاستاذ عزيز إن تلك المحاضرة حفلت بالتصفيق - أكثر من ثلاثين مرة. واجتمع لسماعها عدد من الناس قل أن اجتمع لسماع أي محاضرة سبقتها.. في جمعية الاسعاف - ويرى أبو ضياء أن تلك المحاضرة المتميزة، أقل ما توصف به أنها - فكر، وأدب، وفلسفة، وفن - .

والرجل يبهر بمنطقه ورؤياه العقلية وتمثله لحرية العقل.. فيقول بعد أن مهد لتغيير عنوان حديثه كما أسماه، أو محاضرته.. كما ننعتها في اعتزاز واكبار وافتخار: " لا تكون، النظرة إلى حقائق الحياة والفكر خالصة.. إلاّ من أناس يرون أنفسهم فوق قيودها وقوالبها، وهؤلاء يُدعون بالمجانين تارة، وبالفلاسفة وقادة الفكر تارة، لأن حظ الصفات والمبادىء والنزعات.. يرتبط دائماً بحظ الداعين إليها، والمتصفين بها من النجاح". وينطلق الرجل تاركاً لفكره العنان، ليجوب في الكون الفسيح، يشرق ويغرب، يسوق الادلة والحجج. على ما يلقى من آراء، ويبرهن على ما يقول في ثقة وثبات وقوة، ويعلن لسامعيه.. أنه ينطلق من هدف باحث.. يجري تجاريبه،

وليس محاضراً.. يؤلف كلاماً، قد يرضي سامعيه، وقد لا يعجبهم ما يقول. والباحث.. يستقرىء الاحداث والتاريخ والرأي، ثم يقدم أحكامه من نتاج فرضيات وتجاريب واستخلاص لواقع.. يستله من مطالعاته وممارساته ودرسه وأبحاثه واستنتاجاته، ومن أحكام غيره ودرايتهم ومعارفهم.

وهو رجل يجنح إلى - التجريد - ويسميه مبدأ قديماً، التزمه، ويقول عنه: " وهو مرضي الذي لا أشفى منه، عرفنى به من عرفوا طريقتى في الحياة، ومن قرأوا نظراتى القديمة في الخير والشر، وفي الفضائل والرذائل، وفي الحب.. وفي الشعر فإذا ظن ظان ان فيما أقوله الليلة خلطاً أو اطلاقاً أو شذوذاً، فإنما يكون هذا الظن معقولاً.. لا أضيق به، فهو عندى شبيه بالنظرة إلى مجهول لم يتكشف ، لا على مجهول أخذ سبيله في التكشف والوضوح ".

وهكذا يمضي في مقدمته المشعة القوية، يغوص في أعماق الحياة وتسطحها، ويضرب الامثلة، ويجنّح فيما يسوق من أفكار وآراء، ذات أعماق وأبعاد، تتبىء عن

فكر واع نير، قرأ الكثير.. واستوعب الكثير، وجاء في تلك الليلة الحفيلة.. ليفرغ تلك الشحنة الدافقة في نفسه، ويقدم تلك المحاضرة في أكثر من أربع ساعات.. يتحدث فيها كثيراً.. عن الفضائل، أنماطها ومدلولاتها وتأثيرها ومعطياتها. ومن خلال حديثه.. الذى يفرضه عنوان المحاضرة الذى اختار؛ وله أن ينطلق في وجهات شتى، ليلقي على سامعيه أنماطاً من تصوراته ومفاهيمه.. وما يراه حقاً وواقعاً، في مصارحة لا تعرف السبيل إلى الالتواء والحذر والغش، وإنما يقول الرجل ما يقدر وما يظن انه حق وصدق وأمانة. ويعلن انه ليس واعظاً أو لا يقدم مواعظ. ويذكر في غير تحفظ إلى أنه يدخل فيما يسميه مجازفة.. فيقول : " إن المجازفة الليلة ضرورة، ومن الخير أن نستفيد من قوانين الضرورات المرتجلة، لنكون باحثين مجازفين، فالمجازف في تاريخ نشأة الحياة، وفي تاريخ تطوراتها، قادت روادها إلى القمم الشامخة، وأعانت على كشف مساتير الوجود والفكر ".

إن الكلام.. بمعنى الكلام الذي يعرفه النحاة، وليس الكلم الممجوج الرخيص التافه، وإنما كلام الرجال

الثقات، إنه قدرة وموهبة.. ومعارف مكتسبة، وهو شجاعة وأداء يمليه فكر أتقن ما وعى، وينطلق من خلال توجه.. يقنن الاشياء قبل إخراجها على اللسان، لتصل الى الآخرين، وهو مَنحى بلاغة وبيان لأنها أدوات اتقان.. عبر لسان ذرب، ليكون لما يؤديه تأثير وصدى في نفوس سامعيه.

وحين قدم المحاضر لفظة - الرجولة -.. عن كلمة - الخلق - ، محدداً العنوان الذي سوف ينطلق منه، لم يكن هدفه المجانسة اللفظية وموسيقاها، وإنما كان يهدف المسار الاساسي - وهو يوازن بين: الرجولة.. كصفة، وإنها ينبغي أن تقدم، لأنها كما يقال حجر الزاوية. والخلق كذلك صفة، ومنطلقها.. يختلف.. عن منطلقات - الرجولة -.. وأنّ من عماداتها القوة، وهي عنده في المقدمة. واختار - الفاضل - بدل - الكامل - لأن الكمال غاية، والغايات بعيدات المنال، وإن كانت أهدافاً. وأراد المحاضر أن يُعني أولاً بمعاني كلمات العنوان.. لينطلق منها، حين تكون محددة. ولا يهم بعد ذلك أبعادها ومراميها.

والخلق اكتساب، يتاح ولا يتاح، على حين أن الرجولة كيان له قدرة بمواصفاته وقيمه الفطرية والمكتسبة، ومنها يتأتى (الخلق الفاضل)، لأنه صفة لها. هذا هو منطلق الأديب الكبير، وقد أدرك هدفه، والهدف الذي دعي للحديث فيه، فصحح قبل أن يبدأ، حتى لا يكون خلل أو ثغرات.. بين العنوان والحديث، حين لا تكون المواءمة بينهما، ولا يريد الأديب اللماح أن يلقي الكلام على عواهنه.. غير محدد، وغير دقيق مقنن، فيحسب عليه كلامه..!

والذين يدركون ببصائرهم مدلولات الألفاظ، حراص على الالتزام بما يقولون، لا لأنهم يخشون أن يحسب عليهم نقص واخلال ويقام جدل وخصام، وإنما لانهم يقدرون الدقة من وعيهم وحرصهم، لأنهم يحترمون أنفسهم، فليزمونها بالأدق والأصوب وقل المحدد. وهكذا فعل الأديب الكبير حمزة شحاتة في عنوان محاضرته، ليتحدث بعد ذلك في حرية، وقد أسماها مجازاً مجازفة، لأن الموضوع له أبعاد وجوانب ومفاهيم، ولأنه أعد بحثاً مطولاً، فقد خشي.. لا أن يرتج عليه، فهو يملك ناصية الكلام، وإنما قدر التفسير وفهم ما سيقول.

ثم أخذ يعدد الفضائل، فيذكر أن - الخلق الفاضل يعرفه الناس، فلا يزيدهم فهماً له ان تقيم الكلمات والتعاريف حدوده -. ويقول: " فالفضائل إذن صفات وأعمال، تؤمل الجماعة الغالبة اصطلاحاً بفائدتها وضرورتها، أو بأنها خير " .

ويقول: " والأخلاق هي آثار الفضائل القائمة في النفوس، أو أثر مزاولتها ".

ويقول: " والايمان بالفضيلة قديم، وهو عند الفارابى خير من سلوك سبيلها على غير ايمان "، وهو يريد بالايمان هنا المعرفة ؛ و - وحب الوطن فضيلة -.

ولعلي أتوقف عند قوله في ص - ٥٢ - " النعمة لا تبطر.. ولكنها قوة تجعل الانسان انفراديا، فهي تسد مسام الشعور والاحساس، وتقفل نوافذ النفس ". وأنا أرى أنها تبطر، واقرأوا معي قول الله تعالي : " كلا إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى ". فما معنى الطغيان.. غير البطر.؟ والاستاذ شحاتة نفسه يقول إنها - تسد مسام الشعور والاحساس. وتقفل نوافذ النفس - وهذه

الحال تفضي إلى البطر، مادام قد انسدت مسام الشعور والاحساس، وانغلقت نوافذ النفس !

(٣)

ويعجبني قوله : " الرذيلة لا تنتصر إلا متى كان صوتها قوياً، وصوتها لا يكون قوياً إلا إذا نفخت في بوق الفضيلة ". والذي يريد التوقف عند معطيات هذه المحاضرة المتميزة.. يجد متسعاً من التأمل، عند الكثير من التركيبات والجمل والمعاني والحكم، فتجده يصف - القوي الذي يعطف على الشيوخ والنساء، والاطفال : أقوى. أحسن أفضل (حب) "، أي أنه يتميز بقوته، فتجعله أفضل وأحسن، ومرد ذلك.. حب.

ويصف القوي الذي لا يمارس هذا العطف.. بأنه - رديء، قاس - وأن هذه الصفة (بغض). " والقوي الذي لا يحب الجماعة، ويعتزلها. بحب نفسه، بأنه - أناني - وبالتالي، فصفته (ازدراء) "..

والانسان : يرى الانانية حقاً إذا كان قوياً، ويراها باطلاً.. إذا كان ضعيفاً..".

ويقول الأستاذ حمزة: كذلك الطفل في المدنية الحافلة، أذكى من نده في القرية وفي الريف، وأوسع.. أفقاً لكثرة ما يتوارد عليه من الصور " ؛ ص - ٥٨ - والشطر الثاني من الوصف صحيح.. لا مراء فيه، أما الشطر الأول، ففيه رأي، ولا أتصور أن ابن المدينة أذكى من ابن القرية والريف. وأستطيع القول بأنه أكثر مرانة ومعايشة لما يدور حوله، وأكثر امكانات ودربة.

وجميل وصفه للفضائل والرذائل ، بأن الأولى " أنانية مهذبة، والثانية أنانية عارية ".

إن أقوال كاتبنا وشاعرنا قبل ستة عقود.. في محاضرته تلك خصال مؤكدة؛ لأنها حقائق وركائز، وهو يعلن أن كل فضيلة ـ لا يكون المتصف بها قوياً، لا تكتسب في نظر الناس معنى الفضيلة ونفوذها "..

وانظر إلى قوله وصراحته ورؤاه من ذلك الفكر الثاقب: " والاثرة في عظيم قوي، دلالة على

امتياز شعوره بنفسه، واعتداده بها، فهي حق معترف به، ولكنها في انسان وسط - باطل -، وخروج على سنن الحياة، المعروفة، ومألوفاتها المتبعة". وهو تخريج منطقي واقعي.

وإذا كانت هذه الرؤى قبل ستة عقود، فكيف حالنا اليوم ؟. وأردد مع شيخنا ضياء الدين رجب رحمه الله - يا أمان الخائفين ـ يقول الاستاذ شحاتة عن الفضائل.. في - ص ٦٦ - : " فإذا قال قائل، إن حظ الفضائل آخذ في الادبار، لم يقل إلا بعض الحقيقة.. الحقيقة كلها، أن حظ الفضائل قد أدبر وزال "..

وعن الكرم والبخل.. نقرأ في - ص٧١ - تحليلاً عماده المنطق الفلسفي، ولن أتوقف عند - الشجاعة - في وصف المحاضر لها بـ ـ التصميم ـ، إننا حينئذ نسلخها عن أهلها الحقيقيين، وهي ليست - اضطراراً - أو - طمعاً في تحقيق غاية أو منافسة ند أو دفع لسبة، أو فرار من عار ".. إلخ.. والإطلاق هنا تجاوز، لأنه غير حقيقي بالقياس إلى أنماط.. ليس فيهم صفة من هذا الخلق المتدني.!

وعن الكرم والبخل، وهو كذلك ليس على - اطلاقه - " فإن كان الكرم شعراً وحماساً. وخيالاً جميلاً، كان البخل حكمة وفلسفة وفهماً عميقاً "..

" والكرم يعطي ليأخذ.. والبخل اكتفاء.. وما عاب الناس البخل، إلا لما فيه من أثر الانانية الواضحة. والاعتكاف في حدود الذات، ونحن نراه أنانية محدودة قانعة، ونرى الكرم أنانية واسعة جشعة، همها استرقاق النفوس والألسنة، وذيوع الفخار، وتحقيق المطامع، والاستمتاع باللذة الخفية ".

ومرة أخرى .. نقف في تحفظ عند اطلاق معاني خصال ، لأن هذا الاطلاق من غير احتياط ليس مقبولاً، وبالتالي ليس حقاً. إذن هو .. تجاوز . يقول كاتبنا . " والكبرياء أنانية واضحة لا تعرف الدهاء والحذق، فهي رذيلة ظاهرة. ولو قابلنا بين الايثار والاثرة ألفينا الايثار - أكثر جشعاً وأوضح طمعاً -. فالإيثار نظر حاذق إلى ضمان فائدة الحب والاعجاب في الحاضر، وما يفيد بهما في المستقبل ".. والإثرة نظر ضيق إلى ضمان

فائدة في الحاضر، تقتصر على المادة، فهي عارية لا تستر ، فتتيح بوضوحها الفرصة للمقاومة والفهم والحكم الدقيق .." . – ص ٧٥ – .

وجميل قوله : " والتواضع توكيد للذات . وايمان عميق بها ". وعن: النقائص في الانسان.. يقول: " والاعتراف بالنقائص فضيلة دون شك، ولكنها أيضاً فضيلة ذات مغزى نفعى كالتواضع. فما يعترف إنسان بنقيصة فيه، إلا وهدفه أن يتصف بالكمال في ناحية أخرى، هي أكبر عنده وأغلى ". وحتى هذا الإطلاق.. عليه تحفظ، لأن المعصومين.. لا يندرجون تحت أو في هذا التعريف والافتراض.!

وجميل كذلك قوله : " والكذب يقل حيث يقل التزاحم على أسباب العيش ".

ولا أدري هل نتفق أو نختلف مع كاتبنا في قضية الكذب؟ أما أنا.. فلست معه في كل صوره ومعطياته، فهو يقول: " الكذب في المدينة العامرة، ضرورة اجتماعية واقتصادية تعين على الرواج، وانتعاش حركة التبادل

والاقناع، فلو ساد الصدق فيها، أصيبت مجالات الحركة والنشاط بركدة، يتضاعف معها الشعور بأعباء الحياة وهمومها ".

ونحن ندرك أن المؤمن لا يكذب، رغم انه يرتكب بعض المعاصي، والصدق منجاة، ونقول: النجاة في الصدق.. والكتاب العزيز يعلن ويدعو المؤمنين أن يتقوا الله ويكونوا مع الصادقين، والكذب غش. ويعود كاتبنا ليعلن رفضه للكذب، وكأنه حين ساقه، كان للتدليل على شيوعه ورواجه، وليس رأيه، أو دعوة منه إلى التلبس به، لذلك يعقب على قوله ذاك : " والكذب دليل فقدان الثقة بنفع الصدق، وهو أكبر الرذائل نسلاً، وأرشقها دخولاً، على النفوس، وأوسعها حذقاً ".

ويعجبني قوله بعد ذلك إن " الرياء "، والتصنع والغيبة، والخداع، والمكر، والمداهنة، والمداورة والمصانعة، والنفاق، والغدر، والدهاء.. من موليد الكذب ومركباته " " ص - ٧٦ " -.

وبعد أن يقول كاتبنا: " إن معظم الفضائل لا تتنسب

إلى أشرف عواطف الانسان أو غرائزه، بل تنتسب إلى انانيته، وشعوره الخفي بالمصلحة " ؛ يقول وكأنه يستدرك على نفسه، فيسرع الى القول لسامعيه.. الذين ربما بهرتهم هذه الآراء الجريئة.. من غير احتياط واستثناء، يعلن المحاضر إلى الملأ، بجوار البيت الحرام كأنه يصحح المسار : " أما الفضائل التي نراها خليقة بهذه التسمية، فهي التي نزل بها القرآن ودعا إليها ؛ تلك فضائل، لا يكون للمتصف بها، والمؤمن بقوانينها، نظر إلى مصلحة أو سمعة ". لكن المؤلم.. هو قول الاستاذ شحاتة: " إن نظرة العامة إلى الفضائل أصبحت نظرة خيالية، لا نظرة ايمان وتحتيم، وانها لم تعد سلاحاً يضمن الحماية لمتقلده ". وأقول ما أكثر الفضائل المنسية.. التي جاء بها الاسلام، وحث على التخلق بها، ولكنها هجرت، حتى توشك أن تصبح غريبة، وهو ما عبر عنه كاتبنا بأنها – نظرة خيالية.. وكأنها بلا معنى وبلا قيمة، وانها ليست ضرورة للإنسان وحياته، وربما كانت في نظر الكثرة.. أنها أشبه بالكماليات، أو بتعبير أدق، لا حاجة إليها، وربما نظر إليها على أنها قيد ومعطل، وأن التحرر منها هو

الاسلم، وهذا.. شيء مخيف ومحزن، وهو مقياس إفـلاس، يشبه المفلس يوم القيامة، الذي يأتي بحسنات، وقد سب هذا وشتم هذا، وأكل مـال هـذا، وعنـد الحسـاب.. ينسلخ مـن رصيده إلى دائنيـه فيصبح مفلسـاً، كمـا يعلـن ذلـك من لا ينطق عن الهوى.. صلى الله عليه وسلم.

ويتسـاءل الاسـتاذ شـحاتة.. فيمـا يشـبه الريـب، فيقـول : " فهـل يلقـى الخلـق الفـاضل بيننـا التشـجيع والمناصرة " ؟؟ ويستطرد في القول، وهو يضرب الامثـال ويتأمل ويتألم ويلقي على سامعيه هذا التساؤل ! فيقـول : " كـم يلقـى الصـادق، والصريـح، والعـادل، والانـوف، والصـابر، والمستحي والامين، والرحيم من المشقات، ومن انـزواء النـاس عنهـم ومـن المقاومـة الظـاهرة والمسـتورة لخطواتهم ".

وانظروا إلى المقارنة العجيبة والموازنـة المذهلـة، في الحديث عن تقلص معطيات الفضائل – لاننا في زمـن كمـا يقـول الاسـتاذ شـحاتة – امتطت فيه الرذائل غـوارب الفضـائل.. يقـول المحـاضر: " كـم يلقـى الكـاذب اللبـق،

والماكر الختال، والضارع الشره، والظالم القوي، والجريء الملحف، والطامع المتوقح، والخؤون، ومغلق الحس، من الارتياح إليهم، والاستجابة لفرائضهم، والاعجاب بهم، والرهبة منهم ؟ ".

ويعلن الاستاذ شحاتة : " إن كل فضيلة من فضائل القرآن.. تضرب المثل الاعلى الكامل للقوة وحريتها، فآمنوا بها واطلبوها " ثم يقول: " وكل فضلية من فضائلنا.. تضرب مثلاً للضعف والتهافت والتمويه، فأعرضوا عنها وانبذوها ".

ويصل المتحدث المحاضر في جمعية الاسعاف إلى فضلية من رؤوس الفضائل، وهو شعبة من الايمان، ألا وهو - الحياء - يقول الأستاذ شحاتة : " وللفضائل في رأينا جماع.. هو - الحياء - .. والرحمة.. والعدالة وقوام هذا الجماع - الحياء... ". ويمضي في القول : " فالحياء قوة النفس، وحرية العقل، وميزان الضمير ".

" والرحمة عدالة النفس، وجمالها، وحسها ".

" والعدالة.. رحمة العقل.. وبصره وسلطانه ".

ويؤكد هذا الرجل العملاق.. ذو الرأي السديد، في قوة اقتناع أنه " لا توجد بين الفضائل فضيلة، أو بين المزايا مزية، تعرضت لما تعرض له - الحياء - من الامتحان.. بسوء النظرة وقصرها، وبالتقدير المختل، والوزن الجزاف ".

ويمضي كاتبنا في القول، عن الخصال الكريمة، تطبيقاً وممارسة ومخالفة نصوصها .. من النقائض، وهو يضرب الأمثال عن التلميذ .. بين المدرسة والبيت ، فيقول :

" يتعلم أن الصدق والشجاعة، والكرم، والعفو، والرحمة، والصبر، والحلم، وطائفة كبرى من أمثال هذه السجايا.. فضائل واجبة..

" وتضرب له الامثلة، في كتب الدين والاخلاق والتاريخ، والانشاء، والمطالعة، على هذه الفضائل، وعلى الخير والبر، والتقوى..".

" إن كان ذكياً.. رأى استاذه يكذب، ورأى أمه تكذب على أبيه وأباه يكذب على أمه. ورأى أنه لا ينجو من العقاب المدرسي.. إلا بالكذب "

" ورأى الاستاذ يخاف ، ورآه بخيلا ، ورآه لا يرحم، ورآه ضيق الصدر ، ورآه عفيفاً .. في الظاهر فقط ".

" التلاميذ يعرفون اسرار اساتذتهم، ويكشفون هناتهم ونقائصهم.. اكثر مما يعرفها الرجال "..

وفي المقاييس العامة.. التي وعاها الأستاذ الكبير - حمزة شحاتة - وجاءت في شواهده عبر حديثه الواضح.. أن " الفرد مرآة الامة.. تنعكس عليها الصور العامة لها.

والأمة مرآة الفرد.. في أول نشأته، وهي مثاله الذي ينشأ عليه".

ويفصّل الكاتب المجيد تلك الصفات.. كما يلي :

- إذا رأى شجاعة.. نشأ شجاعاً...
- اذا رأى قوة.. نشأ قوياً.
- اذا رأى فضيلة.. نشأ فاضلاً.
- اذا رأى رحمة وصدقاً وعدالة واتساقاً، نشأ رحيماً صادقاً وعادلاً متسقاً؛ لكنه.. إذا رأى في هذه الامة

غير ما قرأ في المدرسة.. لم يكفه أن يكون كأخيه العامي المغلق.

إنما ينقلب مجرماً خطراً يرى الفضائل تجارة وخداعاً، وزواجر.. ليست لها قوة القوانين المسلحة فيتاجر ويخدع، ولا يخاف إلا القانون، المجرم هكذا لا يخاف إلا القانون ".

- القوانين لا تربي الامم، ولا تربي الاخلاق، ولا تبني الحياة.

- المدارس تعلم الاخلاق، ولكنها لا تصنع رجالاً فضلاء.

- العقوبات : ترد الناس عن الرذائل والنقائص ظاهراً ولكنها لا تردهم عنها باطناً. فهي لا تربي الاخلاق، ولا تبني الحياة". إنما تربيها وتبنيها تربية البيت الاولى، وتربية الزقاق الاولى. وتربيها المدرسة بالقدوة الصحيحة، لا الفاسدة، **وتربيها** الحياة الاجتماعية.. بصداها الفاضل ".

- وتربية البيت مثله الصحيحة، وحريته الفاضلة. لا زواجره..

- وتربية الزقاق.. أن يكون زقاقاً فاضلاً.
- وتربية المدرسة.. أن تكون عملاً واداركاً وممارسة، لا آلية فكرية.. وقواعد، وترديداً ".

إنها مثل عليا، يرسلها فكر صاف، وعقل ناضج قوي، ورأي سليم، وانسان سوي، عبر موازين دقيقة، لا اختلال فيها ولا انحراف، ولكنها تزن بالقسطاس المستقيم، ولو فتشنا عن هذه القيم الايمانية، لوجدناها في كلمات محدودة قليلة جداً، ولكنها جماع الحياتين، وهو قول خاتم الرسل.. صلى الله عليه وسلم رداً على سؤال سائل، فقال عليه الصلاة والسلام: " قل آمنت بالله ثم استقم " وكلمة الاستقامة.. يمكن أن توضع تحتها مائةـ خط ـ لنفرع منها تلك الموازين والمثل، في الحياة كلها ؛ واقرؤوا إن شئتم قول الحق سبحانه لرسوله: " فاستقم كما أُمرت " في كل التعامل.. تندرج الاستقامة، لانها عدل وخلق عال، ومسار حياة وقيمة متميزة، لا غبن فيها، ولا انحراف ولا التواء ولا ظلم.

صحيح ان القوانين زواجر، ولكنها لا تربي

الأخلاق، ولا تبني أمّة، وإنما يربيها ويبنيها ـ الحياء، لانه أقوى، أو لأنه القوة ؛ كما يقول أديبنا الكبير. و– الحياء – قانون الفطرة الانسانية. الحياء.. " هو القوة والرحمة والعدالة ".

كلمات وجواهر لا تقدر بثمن، يسوقها هذا الرجل الواعي.. في محاضرته مشتقة من – الحياء الذي هو من الايمان، إلىالشرائح المختلفة في المجتمع، من متحدث وخطيب وبائع، وكاتب وشاعر، وفاضل وكريم، ومتعلم ومعلم، ومتكبر وشاب، وطبيب ووطني، وأب.. إلخ. يدعوهم إلى الالتزام بالحياء. وصدق خاتم الرسل عليه السلام.. حين قال: إنما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت ". وقال : " الحياء والايمان مقرونان فإذا سلب أحدهما تبعه الآخر ".

وقال : " لكل دين خلق، وخلق الاسلام الحياء ".

وحقاً ما يقول أديبنا الكبير: " لا تحيا أمة إلا بالتربية الصالحة.. وما نراه من الفروق بين الأمم الناهضة.. إنما مرده تفاوت أساليبها في التربية ". ونحن

نقرأ في تراثنا الحفيل كثير منه بالقيم، تلك الوصية التي تقول عن معاملة الطفولة: لاعب ابنك سبعاً، وأدبه سبعاً، وصاحبه سبعاً. إنها موازين وأطر.. لو التزمنا بها.. لحافظنا على قيمنا ومثلنا في حياة كريمة.

يقول كاتبنا الكبير: " فإذا وقفت التربية المدرسية، ووقفت قيادة الفكر.. موقف التستر والمداورة والجبن، في مواجهة الحقائق وواقع الحياة، انتهت الامراض النفسية والفكرية.. إلى اضمحلال محقق ".

ويصل إلى القول عن الرجولة، وهو الذي.. حوّر عنوان المحاضرة ليجعل كلمة - الرجولة - في المقدمة، ويبني عليها عماد الخلق الفاضل. فيقول: " إن الرجولة كالجمال.. قانونها فيها، ولذلك كانت أساس نشأة الفضائل في الأطوار الأولى ". وهذا ما فسره في حديثه الطويل، وهو أن - الحياء قوام الفضيلة، وأن الرجولة عمادها..

ويعقب على ذلك.. كأنه يشرح الأبعاد.. في هذا التركيز المقنن السوي الواضح ؛ لأن الرجل يقدم قوانين.. قد وعاها وأدرك معطياتها، فيقول: " لكن الرجل لا يكون

تام الرجولة.. إلا متى أخذته نفسه أخذاً صارماً بفضائل طبعه ".. وتتابع كلمات قصار.. أشبه بالرموز، ولكنها معالم على الطريق الواضح الممهد، فهو يعلن: أن الفضائل ترمز إلى القوة.. أو تقرب أن تكون محاولة قوة، ولكن الرجولة طبع وفطرة، والفاضل يقود نفسه أو يقسرها، والرجل تقوده نفسه وتقسره. فالرجولة قوة في ذاتها، ولكن الفضائل قوة بما فيها.. من سمات ".

أجل، إنه كما يقول هذا الاديب الشامخ ؛ الرجولة: مجموعة من الصفات الرائعة.. فهي: القوة، والجمال، والحق، والقوة تقابل الحياء، والجمال يقابل الرحمة، والحق يقابل العدالة. فالرجولة إذن: قوة وجمال وحق. أما الفضائل! فجمال فقط ".

ومن دفق فلسفته، وهو قارىء فلسفة ممتاز، فهو يعلن في ص (١١٧) بأنه يجرد الفضيلة من القوة، ويجردها من الحق، فيقول: " إذا كانت الفضيلة تهب لتأخذ، لم تكن قوة ". وهذا المرمى.. يهدف من ورائه إلى أن الاخذ أو الجزاء لقاء الفضيلة.. هو ما يحجب عنها أن تكون قوة، وان تكون حقاً.

وهكذا تنتهي هذه الوقفة.. مع تلك المحاضرة الرائعة لاديبنا الكبير.. حمزة شحاتة رحمه الله. لنتوقف مسرعين مع الاستاذ عزيز ضياء وكتابه: " حمزة شحاتة: قمة عرفت ولم تكتشف، ونمر بعد ذلك بـ : " شجون لا تنتهي، وننتهي بديوان شاعرنا حمزة.. في وقفات متتابعة. ولن أبحث اليوم عن: رفاة عقل، ولا رسائله.. إلى ابنته شيرين، ذلك انني تحدثت عنهما من قبل ونشرت ذلك في كتابي: " في معترك الحياة " الذي صدر عن النادى الأدبي الثقافي بجدة.. عام ١٤٠٢هـ من ص ١٦٩ الى ١٧٨، وقد أسميت الرفات.. اشعاعات ولكني أرجو أن يسعى المنقبون والمجدون.. بحثاً عن رسائل أديبنا الكبير لدى أبناء أصدقائه، الذين كان يكتب إليهم، خاصة الأستاذ محمد عمر توفيق رحمه الله.. ومن إليه من الصديق، الذين كان يبعث إليهم بتلك الرسائل، وهي نماذج فنية.. من الأدب والحكم والفلسفة والسخرية والجمال، لانها ثروه أدبية، نريد أن نقرأها ونستمتع بما فيها من فكر مستنير، ونتاج عقلية ناضجة، ورؤى بعيدة الأعماق الثرية بكنوز غالية وراقية ومتميزة، لانها قيمة.. وأي قيمة..!

(٤)

في مقدمة كتاب أستاذنا عزيز ضياء.. عن الاديب الكبير حمزة شحاتة رحمه الله، الذي صدر عن المكتبة الصغيرة بتاريخ ربيع الآخر ١٣٩٧هـ بعد وفاة الاستاذ شحاتة بخمس سنين. جاء في المقدمة قول الكاتب: " والقمة الادبية التي اتحدث عنها، لم تخضع لما تخضع له القمم من مثيلاتها، على امتداد وتلاحق السلسلة الطويلة من أولئك العباقرة.. الذين عرفهم تاريخ الادب العربي أو تاريخ أي أدب من آداب الامم.. في هذا العالم الكبير " .

وهذا الكلام على - اطلاقه - لا أحد كما اعتقد يوافق عليه أبا ضياء، لأن فيه أكثر من مبالغة، وأكثر من تجاوز، وكان ينبغي الاحتياط والاستثناء قبل هذا - التعميم - المطلق. وأنا أستطيع أن أذكر أبا العلاء المعري، فهو لم يخضع لما أشار إليه الأستاذ عزيز.. باستثناء شيء يسير في حياته الأولى - وليس فيه ما يحسب عليه، لأن فيه تحفظاً وتوازناً واعتدالاً. أما على

مستوى العالم.. فإني لا أزعم ان لي اطلاعاً يمكنني من نفي أو اثبات ما ذهب إليه أستاذنا أبو ضياء، لكنني استطيع أن أؤكد بلا احتياط.. أنه يوجد أنماط تشبه الأستاذ حمزة شحاتة فيما ذهب إليه كاتبنا في تلك السطور التي نقلتها من مقدمته. وكنت أوثر أن يحتاط الأستاذ عزيز.. في ذلك الوصف الذي خص به صاحبه، الذي نقدر مواقفه وإباءه واحترامه لنفسه. كما نقدر أدبه المتميز.. نثراً وشعراً، وهو قمة بلا جدال في شموخها وقوة ارداة واعتزاز نفس. وأنا أرجو أن يهتم المشرفون على الرسائل الجامعية في جامعاتنا، وأن يوجهوا طلبة الآداب.. في الدراسات العليا، لكي يعنوا بما تبقى من آثار حمزة شحاتة.. شعراً ونثراً، فهو حقيق بالدرس والتأمل، لأن أدبه ذو نمط عال في تميزه، قوة ومتانة أسلوب وبلاغة ونصوع بيان وبراعة أداء وسحر بيان.

ويحدثنا الأستاذ عزيز ضياء.. عن بدء معرفته بالأستاذ حمزة شحاتة، ويحدد التاريخ لتلك المعرفة، وهو عام - ١٣٥١هـ - أو بعده بقليل. وكان ذلك في المسعى وهو يسير مع الأستاذ صالح باخطمة رحمه الله، ذاهبين

لزيارة الأستاذ عبدالوهاب آشي، وأشار الأستاذ باخطمة إلى شاب فارع الطول يسير غير بعيد منهم، فقال لمرافقه: انظر إليه: " هذا أبو عرب.. حمزة شحاتة "، لأنه يعرفه، واستوقفاه - أمام بيت باناجة في ساحة الصفا، وتوجه الثلاثة.. إلى الأستاذ الآشي رحمه الله. وكلمات أبي ضياء في وصف - رصيفه - بتعبيره، أي حمزة شحاتة وهندامه وسيره وعنايته بمظهره واستقامة قامته، تعبير فيه تأنق الأستاذ عزيز ضياء، وهو يتميز بذلك، في اختيار ألفاظه. بلاغة وبياناً، وحرصه ألا يلحن وقد كان، لأني سمعته من خلال منبر النادي الأدبي الثقافي بجدة.. مرات ومرات.

ويسترسل أبو ضياء في علاقته بأبي عرب، واهتمامهما بالمطالعة واقتناء الكتب التي ترد من خارج البلاد، ويشتريانها من الشيخ - أحمد حلواني - في باب السلام بمكة المكرمة، بل أمام البريد بالقشاشية، قبل أن تنقل المكتبة إلى باب السلام.. وهو المكان الذي عرفتها أنا فيه، والحال المادية يومئذ صعبة، غير أن حب القراءة.. جرياً وراء المعرفة، والطموح الذي يدفع إلى المطالعة، كان أقوى من الحاجة وحتى الفقر، وقد مرت بي مثل هذه التجربة.

ويعرج الأستاذ عزيز إلى معركة الرجلين.. الأستاذ حمزة شحاتة والأستاذ محمد حسن عواد.. رحمهما الله، التي تحولت إلى هجو مقذع ومثالب.. ليست لها قيمة، لأنها معايب وقذى، يرتفع الخلق الفاضل عن مساوئها، فهي قد خرجت عن المعارك ومفاهيمها.. إلى الخوض في الاعراض، وهذا يأباه الاسلام، ويمقته الندى، ويرتفع عنه الكبار وذوو المروءة والحياء. ولست أبيح لنفسي.. المزيد من الحديث أو الخوض في هذه المثالب، ولعل الأستاذ عزيز ذكرها للتاريخ.

ويمضي الأستاذ عزيز يسوق الحديث، ويروي مسيرة الأستاذ شحاتة الثقافية ومصاحبته له ، يسهرون الليالي الطوال، وينام لداتهم.. الذين ينعتهم أبوضياء بـ - الرصفاء - ، وهو تعبير عربي.. لا اعتراض عليه، ويصحون ليجدوا الرصيفين.. الصديقين مازالا على حالهما يقرآن ويتحاوران، وحولهما فناجيل الشاي والقهوة بلا عدد، وكذلك أطباق بقايا السجائر غاصة بها. ووسائل الحياة يومئذ في حدها الأدني، بدءاً من الاضاءة المحدودة، إلى لسع البعوض المؤلم، وأضف إلى ذلك القيظ اللاهب

في الصيف، ليل نهار. ورغم ضيق العيش.. فالحياة كانت وادعة رخية، فكانت الصداقة والصديق، وكان الود والايثار والحياة الكريمة، ويسر الحياة.. البعيدة عن التعقيد، وسكينة النفس والهدوء المطمئن. وكان الحياء عارماً، الذي تحدث عنه أديبنا أبو عرب.. في محاضرته، التي توقفت عندها.. فيما مضى من هذا الحديث، وركز عليه بما تستحق هذه الخصلة الحميدة والكريمة. وما أكثر ما يردد الجيل الماضي والذي قبله، وأردد أنا وجيلي.. بأن اليوم الذي يمضي لا يعوض، وما يأتي بعده.. لا يعدله. ونقرأ قول القائل :

رب يوم بكيت فيه فلما

كنت في غيره بكيت عليه

ونسمع آخر يقول، ولعله شعر أو مقولة جديدة، وهي تحمل المعاني نفسها، والأسى على الماضي، ليس بالقياس إلى الشباب والفُتوة والقوة، وإنما أسف على الزمن الماضي، والتغير الذي يطرأ على الجديد، والمتغيرات المفاجئة الطارئة، وتراجع الأخلاق.. إلى الادني والاردى،

وانسلاخ القيم والمثل، وغياب الفضائل، وقلة الأدب، وضياع الأمانة، وتخوف الانسان من أخيه الانسان، وهلم جرا.. من هذه الأمثلة المتتالية والمتتابعة، التي تتم عن سوء الخلق، والإنسلاخ من القيم والحياء، إلى ما يشبه الوقاحة.. من التردي والخسران المبين، لتصبح الحياة جحيماً وعناء لا يطاق، حين تذهب الوداعة، ويختفي الرفق، وهو كما يقول الصادق الأمين صلي الله عليه وسلم انه : ما دخل الرفق شيئاً إلا زانه، وما خلا منه شيء إلا شانه. والشكوى الجديدة من الزمن والاصح من اهله لأن الزمن وعاء، والناس هم الأخياف.. كما قال ابن زيدون ولذلك نقرأ ونعجب وندرك المعاني والأخطاء وفساد الناس :

نعيب زماننا والعيب فينا

وما لزماننا عيب سوانا

والقول الآخر من الشكوى. والحنين إلى الماضي وذكرياته ومعطياته وجماله وبهائه وايناسه ووداعته واليسر فيه.. والوداد والايثار والخلق الدمث والحياة يقول الشاعر :

ومــــــر زمـــــان لعبنــــــا بــــــه

وجـــــاء زمــــان بنــــا يلعـــــب

ويسـوق أبـو ضيــاء فــي كتابــه قصيـدة الأسـتاذ شحاتة.. التي عارض بها أمير الشعراء أحمد شوقي فـي تحية غاندي والتي مطلعها :

ســــلام اللـــــــه يـــــا غــــــاندي

وهـــــذا الـــــورد مــــن عنـــــدي

وسوف نقـف عنـد قصيدة الأستاذ شحاتة.. حيـن نصل إليها في الديوان إن شاء الله.. لكن أبا ضيــاء يعـرج بنا على معارضة أخرى.. للاستاذ - عبدالقادر عثمــان - من جـدة، وقد كان مع شحاتة في الهنـد، حيث ابتعثا مـع غيرهما.. على نفقة مؤسس مدارس الفلاح الحـاج محمـد علي زينل رحمه الله. وقد عرفت عبدالقادر عثمان بآخرة، وأظنه كان يعمل في بلدية جدة بعض الوقت، وربمـا فـي المجلس البلدي. ومن ضمن قصيدة شحاتة الغاندية قوله :

تمنــــــــى ســـــــترة الحـــــــا

ل فلـــــم يعـــــثر علـــــى صلـــــدي

ويذكر الأستاذ عزيز أن - الصلد - هكذا يكتبها.. بأنها قطعة نقد ايطالية. وهذا صحيح، ولكن صحة كتابة الكلمة كما جاءت في بيت الشعر - صلدي - وهي أشبه بالهللة وربما قيل - صولدي -.

ومن معارضة عبدالقادر عثمان، وهي منشورة في شعراء الحجاز في العصر الحديث.. لجامعه الاستاذ عبدالسلام الساسي.. قوله :

تحايا الحب والوجد

لأصحابي في الهند

وأشواقي تؤرقني

وترمي الجفن بالسهد

أصحابي تلومونى

وما أبقيت من جهد

أترضون بأن أحيا

كئيباً عاثر الجد

وأقضي العمر في نصب

وفي شغب وفي كد

وأحســـــب مـــــال قــــارو
ن ومـــا خردلــــة عنـــدي

وبناء على معطيات هذا البيت الأخير، فإن الأستاذ عزيز يذكر.. أن عبدالقادر عثمان " كان يعمل محاسباً في احد البيوت التجارية ". ولعل أبا ضياء أكثر مني دراية بعمل عبدالقادر عثمان. ومادام هذا الشعر.. الذي يسمى - حلمنتيشي - في ألفاظه وتركيباته فغض النظر عن البيت التالي:

أصحـــــابي تلومونـــــي
ومـــا أبقيـــت مـــن جهـــد

وحال الفعل المضارع هو - تلومونني - لأنه من الأفعال الخمسة، ولم يسبقه ناصب ولا جازم، وليس جواب فعل الشرط.

ويتحدث الأب عزيز في - ص ٤٥ - عن الكاتب والخطيب والفنان، وهذه بعض صفات الاستاذ شحاتة بلا مراء. وصحيح ان رسائله قطع فنية متميزة إلى حد الروعة، فقد قرأت رسائله إلى ابنته شيرين، وأعتقد أن

رسائله للداته من الأدباء، وقد قرأت إحداها في - شجون لا تنتهي - موجهة إلى صديقه.. محمد عمر توفيق رحمه الله، وسوف أتوقف عندها إن شاء الله.. حين المرور على - الشجون - والصفات الأخرى لا يجادل فيها.. وإنما أقف معها لأني قرأت شعر الرجل ونثره الذي طبع.. كلمة كلمة، فوجدت أديباً نابغة عبقرياً، حرمنا أكثر آثاره التي ضاعت بددا، كما حرمنا أثاراً كثيرة.. من تراثنا الرائع.. الذي عبثت به أيدي الفساد والحنق والعداء، حرقاً وتمزيقاً ورمياً في اليم.. عبر مسيرة الأمة العربية الطويلة وتاريخها المؤثل، لانها أمة بلاغة وحجاج وبيان.

وتحت عنوان : فارس الحوار والرسائل - ص٥٤ - يقول الأستاذ الأب عزيز: " وأما حمزة.. كأستاذ في الحوار وفي الحديث، فليس من يمكن أن يكون شبيهاً له، إلا فيما نسمع أو نقرأ من كبار الفلاسفة المشائين، كسقراط. وأنا شخصياً لم أعرف له نظيراً حتى اليوم، على كثرة من عرفت في المملكة وفي غيرها.. من نبغاء باستثناء الدكتور طه حسين.. وأرجو أن يأذن لي الأستاذ بأن اذكر له بعض الأسماء التي عرفت، لهم هذه

القدرة.. على الحديث والاسترسال فيه في العصر الحديث، من أمثال : الأستاذ عباس محمود العقاد، والدكتور الفاضل بن عاشور، والدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة.. من تونس. والدكتور المهدي بن عبود من المغرب. وربما كان هناك آخرون.. لهم هذه القدرة، ولكن تحدثت عمن أعرف، ومن سمعت بالقرب. وأضيف إلى هؤلاء شيخ مشايخ الجزائر، صاحب سجع الكهان.. الذي كان ينشره في صحيفته - البصائر - الشيخ محمد البشير البراهيمي. وأضيف إليهم الدكتور عبدالله بن بية، من موريتانيا. والأب عزيز يذكر علماء شنقيط.. الذين كانوا يتحدثون في المسجد النبوي الشريف.. في علوم الدين وفنون القول ساعات ارتجالاً، كأنهم يمتحون من بحر، يتحدثون في كل الفنون والعلوم. وأضيف إليهم الاستاذ أمين الخولي. والذي ينصت إلى علماء شنقيط من المناطقة يأخذه العجب. وأحتاط لأقول ان منهم وفيهم من يعتمد على الحفظ والسرد. وأصحاب الحجاج والحوار.. ربما ليسوا من الكثرة بمكان، وصدق الله القائل: " وفوق كل ذي علم عليم "..

(٥)

ويذكر الاستاذ عزيز ضياء.. أن الذي نشر من شعر الأستاذ حمزة شحاتة : " ليس أقل القليل فحسب " وإنما هو قطرة من بحر، والذي لم ينشر.. وتفرق لدى بعض اصدقائه، لا سبيل للوصول إليه، ويقدم الأستاذ عزيز إلى القاريء قصيدة.. نظمها شاعرنا في جدة.. حين عاد إليها من القاهرة، يقول فيها :

لست إلا وهماً يراود عيـ
ـني ويعيا بكشفه التشخيص

أو شراعاً أعيته دائرة الـ
ـموج ، فصدر يطفو وعجز يغوص

يا لنا طائرين ريعاً عن الوكـ
ـر ، فهاما والليل داج عويص

فهما في الظلام داع مهيـ
ـض ، لسليم جناحه مقصوص

يخاطب الشاعر شعاعاً عابراً مثل البرق، أو وميض النجم، في مناخ يحوطه اليأس، وهذا الوميض غير دائم.. وإنما يختفي. ويتساءل الشاعر ما قدرة هذا اللمع اليسير غير الباقي، وينعته بأنه كالسراب يبدو لعينه، وهو غير قادر أن يكشف ذلك المسار المجهول. وهذا الشعاع الوامض.. حاله كشراع في ثوران الموج، فهو تطفو مقدمته، وآخره يغوص.. في ذلك الموج المضطرب.

ويتداخل الشاعر والشعاع، أو الشاعر ورفيق معه في هذا المسار، أشبها بطائرين.. روعا فتركا وكرهما، وهاما في ليل مظلم صعب وشديد، ويستنجدان، غير انهما مهيضان ؛ اثقلهما الهم والحزن، والذي يدعوان عونه.. ويظنان انه قادر، فانه مقصوص الجناح، عاجز مثلهما. وتمضي القصيدة، ويحلق الشاعر في سماء جدة، وما وراءها من الكون العامر الفسيح، فيقول :

ما أرى في البقاء إلا علالات خيا

ل مآلها التنغيص

والردى صائد النفوس .. فما فرّ

كناس منه ولم ينج عيص

فعـــلام العنـــاء ، يضنـــي المجديـــــ

ـــن .. ويصـــلاه طـــاعم وقميـــص

يالهـــا رحلـــة .. برانـــا بهـــا الجهــــ

ــد ، ولكـــن قـــد عـــز فيهـــا النكـــوص

وفي خضم هذه الشكوى.. التـي يطوقهـا مـا يشـبه اليأس، يعلن الشاعر.. ان البقاء في هذه الحياة.- عـلالات -، وهـو مـا ينشـغل بـه ويتلهـى، مردهـا الخيـال، غـير ان نهايتهـا.. مـا يعكـر الصفـو ويؤلـم.. وأن المـوت يتصيـد النفوس، ولن ينجو منه ظبي في مستتره.. فـي الغابـة، ولا الشجر نفسه الكثيف، لأنه سيبلى ويذهـب. ويرسـل صوتـه إلى من يستمع إليه، إذا وجد لـه صـدىً، ويتسـاءل.. لمـاذا يكـد المجـدون ويضنـون، مـادام الـردى سـيلتهم الشـبع والجائع.. على السواء؟. وهذه تأملات الفلاسـفة والحكمـاء والمبصرين. ويصـور رحلـة الحيـاة.. بأنهـا مضنيـة.. قـد أنهكت الطاقة والقوى، ولكن لا سبيل فيهـا.. إلـى الإحجـام والرجوع، إذ ليس من خيار أو علـى الاصـح.. لا منـاص مما قدر.

ونمضـــي مـــع شـــاعرنا ومنطلقـــه.. فـــي تأملاتـــه الحزينة:

يــا مجــال الأفكــار ، ضقـت بهـــا خطـــ

ـــواً وئيــداً ، فكيــف كيــف النصيـــص

أي دنيـــا تلـــك التـــي غلبـــت فيـــ

ـــها علـــى الحـــق ســـفلة ولصـــوص

قـــــال قـــــوم : زماننـــــا دون أز

مـــان تقضّـــت ، وأعـــوز التمحيـــص

إنمـــا النـــاس منـــذ كـــانوا : ضعيـــ

ـــف لقـــوي ، وقـــانص وقنيـــص

كنت أريـد أن أعلـن.. حيـن أبـدأ فـي قـراءة شـعر شاعرنا الكبير، أنني.. سأصطنع معه، ما اصطنـع الأستاذ العميد الدكتور طه حسين مع المتنبي.. في دراسته لشعره، من خلال تلك المصاحبة الجادة، في كتاب الدكتـور طـــه.. الذي أسماه : " مع المتنبي ". وكان الأستاذ العميد..يتوقف أمام القصيدة التي يدرسها، ويعلـن عـن بيـت أعجـب بـه،

فيقول.. إن الشاعر أرضاه وأطربه، ويثني على الشعر والشاعر، ويظهر سروره. ويتوقف أمام بيت آخر، ويتململ، ثم يبوح، بأن ذلك البيت غير منسجم.. في تراكيب ألفاظه وموسيقاه، وأن ثمة تنافراً بين الألفاظ.. التي ضمها الشاعر بعضها إلى بعض.

فكنت أطرب لتلك الوقفات من العميد مع الشاعر الفحل، وذوق الدكتور طه ومقاييسه وتأملاته وشفافية نفسه، وذلك الحس العميق.. قل أن يخطيء في الأحكام التي يرسلها وهو يصاحب الشعراء مصاحبة طويلة ومطولة، في – حديث الأربعاء – و – في الأدب الجاهلي – ، و – من حديث الشعر والنثر. واستطاع بتلك القدرة الخارقة، والفكر الباهر والصبر الطويل.. في قراءة وهضم ذلك الشعر الجاهلي والمخضرم والاسلامي، أن يحل معضلات ألفاظه ومعانيه، وأن يفتت صعبه ويقربه إلى القاريء العربي المعاصر.. سائغاً، سهلاً، فيحببه إليه، ويقربه منه، بتلك الأساليب التي اصطنعها الاستاذ العميد، لكي يستطيع تذليل ذلك الكم الصعب المعقد، ليسيغه قاريء القرن العشرين العجل في حياته وسرعتها، لأن الحياة

أضحت عسيرة، والوقت ذهبت بركته، وضاق وتعقد، وكلها انعكاسات حياة لاهثة قاسية لاغبة .

وأنا بما يتاح لي.. من خلال هذه الوقفات مع شعر أديبنا الكبير.. سوف أشيد بما يتفاعل مع نفسي من جيده، وأكثره كذلك، لأني قرأته كله، وأشير الى ما أرى أنه اكتنفه شيء من تكلف لفظة أو صدر أو عجر، في يسر لا عسر فيه ولا تجن.. ولا مماراة.

وأري في البيت الأول من المقطع الآنف تلك المخاطبة ـ المجال ـ هذه الكلمة التي سبقت، الأفكار فإنها لم ترق لي.. لأنها ليست كلمة شاعرية وقلقة بالقياس إلى قدرات شاعرنا. أما قافية البيت، وهي كلمة "النكوص" فأكبر الظن.. انها خطأ.. ليس من الشاعر وإنما من النقل، لأن هذه الكلمة.. لبيت سابق من هذه القصيدة، وهي قد أتت مباشرة في البيت الذي قبل هذا.

وقصيدة.. لم يشر الأب عزيز إلى عنوانها.. وأسرعت إلى الديوان لأجد ان عنوانها : " فلسفة شاعر ". وأن القافية المكرورة، صحة الثانية – النصيص – . فأدركت الخطأ.. وعدلته.

في هذه الأبيات الشاكية، نرى أن شاعرنا.. في رحلة الحياة المنهكة للجهد ، قد ضاق بهذا المسير المتئد.. البطيء، ويتساءل مردداً – كيف – السبيل المستقيم.. الجاد والرفيع؟ وما هي الحياة وقيمتها، حين ينتصر فيها الباطل وهو زهوق، ويغبن فيها الحق، ويغلب فيها الدون.. غير الأمناء، وغير الجديرين بالغلبة والحلول فيما لا يستحقون.. وليسوا له بأهل.. ولا جدارة.! ويستمع الشاعر من يردد، إلى أن زمانه.. غير الأزمنة التي انقضت ومضت، وقل في زمانه أو غاب الاختبار والاختيار. ولعل الشاعر.. يعود إلى شيء من الحقائق، وذلك طبع الحياة ومن فيها، حين يغيب الحق والعدل، فتكون للأقوياء، وانها - أي الحياة - صائد ومصيد، أي غالب ومغلوب، لتكون المعادلة.. كيفما تكون تسميتها.

ولعل من الخير أن آتي على بقية أبيات هذه القصيدة كلها، وهي غير طويلة.. مادمت قد أخذت في قراءتها وشرح بعض معاني كلماتها. ثم أتوقف عند ما يستحق أن يجلى غامضه، حتى لا تطول الوقفة، لأن أمامي وقفات.. ربما تطول بعض الشيء مع ديوان

شاعرنا. يقول الشاعر المجيد في هذا الشعر الذي أسماه : " فلسفة حائر "، وحق له أن يكون كذلك، فالحيرة.. في معانيه ساطعة مشعة.

يـا فسيلا قـد غـص بالمـاء ريـ

ـا ثـمَّ نخـل نصيبـه منقـوص

قـد شـغلنا بـالأعين النجـل حبـ

ـباً وسـبت غيرنـا العيـون الخـوص

قـال لـي صـاحبي : سـيصلح شـا

ن النـاس يومـاً .. فهـالني التخريـص

جنبينـا يـا تلـك .. دعـوة أعضـا

ئـك فيمـا يشـف عنـه القميـص

حسـبنا فتنـة الأنوثـة ، شنًّـ

ـها علينـا شـباكها والشـصوص

شـهد العقـل ، ان عيـش الخليـ

ـن علـى مـا فقهـت ، عيـش رخيـص

إلى أن يقول:

أترى ما يصيبه المرء في دنياه أمـ

ـراً ، قد كان عنه محيص

أيها المرتجآ مكوثاً على الـ

أرض ، تهيأ فقد دعاك الشخوص

إن لغة شاعرنا متينة قوية، تكاد تكون في أكثر شعره، وهي طاقة اختزان هذه الثروة من العربية، يتميز بها الأفذاذ من الشعراء والناثرين.! وانظروا إلى هذه القافية، التي تنتهي بحرف – الصاد –. ولا يقدر على القافية الصعبة النادرة.. غير الندرة من جهابذة العربية الموهوبين، ذلك أن اللغة وحدها من غير موهبة لا تصنع شعراً متميزاً، وإنما تعطينا – نظماً – ، بعيداً كل البعد.. عن روح الشعر ومضامينه وإبهاره.

وأحاول أن أجمز بسرعة لبيان بعض الكلمات التي جاءت في – فلسفة حائر – علنا نخرج من الحيرة.. الى الاطمئنان والسكينة.

خلال تأملات شاعرنا.. واختلال الموازين التي يراها ويمعن فيها النظر، إن الفسيلة، وهي النبتة أو ابنة

النخلة، التي تنزع منها وتغرس لتصبح فيما بعد نخلة.. بفضل الله وتقديره، هذه الفسيلة قد أغرقت بالماء، وكثرة الماء يقتلها إذا فاض إلى أعلاها، والنخلة شبه عطشى. ثم يميل الشاعر على اعجاب الناس بالعيون الواسعة، غير أن نمطا آخر من الناس تشغلهم العيون الغائرة.

وشاعرنا.. لا أقول المتشائم، ولكنه الذي يرى بعين البصير المجرب والمدرك والواعي لمعطيات الحياة.. بموازين شاعر وفيلسوف، لا يقتنع، ولا تعجبه تلك الآمال، بصلاح حال الناس، واعتبر مطلق هذا الحديث مفترياً، وان ما يقوله اختلاق. وخلال وصف الشاعر لذات الثياب القصار، وجنح المفتون إلى الصمت، ولم يحدث بالرخصة والتسهيل.. في ذلك التصرف. ولعل الصمت فلسفة.. يميل إليها صاحبها ؛ فلا يجنح إلى نمط اختيار. ويعلن شاعرنا ان فتنة الأنثى.. هي هجوم تمارس فيه أسلحة صائدة، وشبه الطرف المصيد.. بالقياس إلى الصائد، انها الشباك والسنارات، التي هي أدوات صيد الحوت، وكلا السلاحان وسيلة نجح لتحقيق الصيد وغنمه، ليكون حياً، حيث أن هناك وسائل أخرى ممنوعة، لأن

نتـائجهـا القتـل، كاستعمـال – الدانميت.. والشاعـر القـوي الإرادة، لا يعجبـه عيـش الخلـى، غيـر المهتـم، وإنمـا الراكـن إلى الدعـة والحيـاة الخاملة، لا يحب ولا يهتز قلبه للهوى، ولا ينبض لمعطيات الجمـال، ويصـف عيشـه بأنـه رخيص، غير ذي قيمة، وليس له معنـى. وفـي آخـر بيـت من القصيدة، ولم آت عليهـا كلهـا، ينبـه الشاعـر الغافليـن، الذيـن يزعمـون، أو غافلـون عـن الرحيـل ولا هـون، أن يتهيأوا، لأن الذهاب قد حان. وللشخوص معنى آخر، وقـد رأيته في قافيتين بينهما بيتان، والشاعر الذي يمتلك قـدراً جيداً من لغته، لا يمارس تكرار كلمـة ذات معنـى واحـد.. في مثل هذا التقارب، وهو الرجل الحاذق الفطن.. فقد قـال من القصيدة نفسها:

نحـــن باللـــه ســـاكنين وماضيــــ

ــــن ، فمـــاذا أرواحنـــا والشـــخوص

ومعنى الشخوص في هذا البيت القلـق والازعـاج، أي مادمنـا فـي سكوننا وحركاتنـا، مـاذا يعنـي أن يغشـى أرواحنا ما يزعجها ويقلقها ؟ وتلك براعة موهبـة الشـاعر وطاقته العميقة في استخدام لغة طبعها على لسـانه وقلمـه.

يوظفها التوظيف الواعي.. لمعطيات شتى في نسيجه الشعري المتميز.

ويقدم الاستاذ عزيز ضياء في ص - ٧٣ - ما أسماه: ـ شوارد من حكمه ـ للأستاذ شحاتة. ولا بأس من إيراد شيء منها.. هذا الحديث، الحلقة مادام فيه متسع قبل الانتقال إلى.. غيره ، عن : " شجون لا تنتهي ".
قبل البدء في قراءة ديوان الشاعر، الذي قد يتطلب مني وقفات.. فيها شيء من حساب، عن اخراجه، ونقص شرح كلماته.. والأخطاء التي عثرت عليها، ولن أسبق الزمن، لذلك.. فأنا أترك الحديث للحدث في وقته، إذا شاء الله وقدر. من أقوال أديبنا الكبير حمزة شحاتة وحكمه.. رحمه الله قوله:

- إن من لا يندفع إلى الأمام.. يدفعه تيار الحياة إلى الوراء.

- " الفاقة.. تقتل أشرف الدواعي في النفس ".

- الهوان.. يصبح سهلاً بالممارسة. ككل شيء آخر..
وما أصدق المتنبي في قوله:

من يهن يسهل الهوان عليه

ما لجرح بميّت إيلام

- الجمال منجم غني بالأعاجيب والذخائر النفيسة، ولكن الرغبات لا تصطرع حوله.. كما تصطرع على منجم فحم.
- الحب لمن يدمنه.. كالخمر عند من يدمن عليها.. كلاهما يشتري هذه النشوة والمخدر اللذيذ بصمته وماله.
- ما نفع الحرية.. لمن ليست له رغائب.
- عندما تتلامح عينان متفاهمتان.. يكون هناك لحن موسيقي مشترك.

ولم يعجبني في هذا التعبير الراقي كلمة: متفاهمتان..

- ليست حياة المتسول خيراً.. من أن يكون الانسان موضوع رحمة الآخرين. ربما كان الأصح – موضع – بدل موضوع، لأن ذلك أدق، وموضوعاً.. لم تعجبني.

- لا حد لبواعث الألم.. عند من يحس ويدرك".
- لا يجمل أن تتجرد الحياة.. من قانون الرحمة، ولكن يجب أن تتجرد ممن يطبق عليهم هذا القانون.
- إنني أتقبل الكذبة أحياناً، لا لأني لا أعرف زورها - ولكن لأتفادى هول الحقيقة المستترة فيها - ، فإذا قال لي حبيب: أنت وحدك ملء قلبي وشغله، وكنت حينذاك المحروم مما يناله مزاحمي السعيد، لا أقول له: أنت كذب.. لأن هذا يحرمني حتى من الكلمة الطيبة، أو من العزاء.
- إن المستحيل يتحقق أحياناً.. فلماذا نيأس؟.
- علمتني الحوادث.. ان غير المعقول يقع كثيراً.
- ليس في الدنيا تجارة يكثر فيها التغابن.. كالزواج.
- المطالب التي تتحقق كاملة.. تكاد تندر في حياة الأمم والأفراد، وهذا علة ان الصراع في الحياة لا ينتهي.
- أي رجل لا ينقلب طفلاً – على الأقل في باطن نفسه – عندما يعشق ؟.

- ليس ادعاء الشرف عزاء من أخطاء النجاح، ولكن ما هو النجاح ؟.

- في شبابي عشت شيخاً.. وفي شيخوختي تشبثت بعيش الشباب، فأضعت شطري عمري هباء.

- كلما قل نصيبك من الاحساس، وجدت الحياة ممتعة ".

وهذه المقولة.. تذكرني بحكمة المتنبي في قوله:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله

وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

- المعركة الأبدية بين الرجل والمرأة.. غير متكافئة، ينتصر فيها الرجل باستمرار.. ولكنه الضحية دائما.

- اليأس ليس فقدان الرغبة في النضال. لكنه فقدان الايمان بجدواه.

- ما الابداع إذا كانت الصور التي يعطيها الفنان.. هي ذات الصور التي تقدمها الحياة؟.

- الآن فهمت.. ان الانسحاب من المعارك حكمة.. أكثر منه جبناً.

- لم يبق في المرأة ما يثير الفضول.. ومتعة الاكتشاف، ولذة التعقيب.. بعد سفورها.

- الذين جملوا المرأة بالوسائل الصناعية، لم يفقدوها سحر الأنوثة الطبيعي فقط، بل جعلوا منها صدمة.. لعواطف الرجل وخياله.

- أعقد عملية خداع في العالم، تلك التي يقوم بها دور الخطوبة بين رجل وامرأة.. لأن المخدوع فيها يعتقد انه الخادع.

- مضاضة الحرمان من المرأة، أخف وطأة من مضاضة الارتباط بها، حيث يتعذر الخلاص منها بلا كارثة.

- لا حد لصور الشقاء البشري، ولكن فقدان الحرية.. هو أفظع هذه الصور " .

- أنا أمام جيل جديد من النساء، يفهم ان الرجل منتج للثروة.. والمراة مستهلكة لها.

- ليس هناك فرق.. بين أن تكون الغالب أو المغلوب، إذا ناضلتك امراة.. فأنت الخاسر وحدك في الحالتين.

- اللذة كالألم.. كلاهما وليد الانفعال والتوتر، لذلك كان كل من لا يسير انفعالاً وتوتراً.. مولداً للسأم، حتى الجمال ".

- لا ينسى الطائر السجين.. الطيران، مهما طال سجنه، ولكن الانسان ينسى الحرية بطول الاستعباد. هذا أغرب فارق بينهما " .

(٦)

أشرت آنفاً.. عبر هذه السلسة من الحديث عن الأديب الكبير.. إلى - شجون لا تنتهي - ، وهو كتاب.. على نحو ما، صفحاته نحو - ٩٥ - ، صدر عن دار الشعب بمصر.. في شهر نوفمبر من عام - ١٩٧٥ - ، قام بذلك الأستاذ أنور زعلوك، وكتب في مقدمته كلمة - محمد عبدالمنعم خفاجى - ثم مقتطفات من محاضرة الأستاذ شحاتة التي أتيت عليها من قبل. ثم رسالة من أديبنا إلى صديقه.. محمد عمر توفيق رحمهما

الله، وضع لها عنواناً : در الدولاب.. أودعه يدربك – .
وبعد ذلك نلتقي بالقصائد التي اشتمل عليها ديوان الشاعر الذي طبع عام ١٤٠٨هـ الموافق – ١٩٨٨ – م. وفي ظهر غلاف الشجون كلمة للأستاذ زعلوك.

ومادامت القصائد في الديوان.. فلن نتوقف عندها في الشجون، وبالمناسبة فاسم الكتاب عنوان إحدى هذه القصائد. والتوقف مع كلمة الخفاجي، ورسالة الكاتب الشاعر الى أخيه محمد عمر توفيق، ثم كلمة زعلوك. والشجون كانت اول ماخرج من شعر اديبنا مطبوعا، وقد جمع ديوان بعد هذه الفترة، أى بعد عام ١٩٧٥م من شعر الأستاذ شحاتة، جمعه الأستاذ عبدالحميد مشخص.. ودفع به الى – نادي الطائف الأدبي – لطباعته، إلا أن بعض ورثة الشاعر اعترض على ذلك، فتوقف اخراج الديوان سنين، حتى نهض بذلك.. الأمير عبدالله الفيصل. وخلال تصفحي للديوان.. وجدت صفحات ساقطة.. من " ٢٠٣ الى ٢٠٦ "، ربما كان ذلك خلال التجليد، وقد طبع في مطبعة الاصفهاني يومئذ.

ووجدت في الشجون.. القصيدة الساقطة في الديوان، وعنوانها: " ماذا تقول شجرة لأختها ".

في صدر مطبوعة – شجون لا تنتهي – ، كلمة للأستاذ محمد عبدالمنعم خفاجي، عنوانها: " من هو حمزة شحاتة ". يقول منها : بعد أن يصف أديبنا انه من الرعيل الأول.. ومن أدباء الطليعة، وانه شاعر ممتاز وكاتب مجيد.. عميق النظر إلى الأشياء، ينحدر شعره في قوة انحدار ماء النهر.. من فوق الصخور الناتئة في وسطه ".

يقول الخفاجي: ويعتبره إبراهيم الفلالي.. في مرصاده، الأديب الأول، الذي له من سعة الاطلاع وتنوع الثقافة ما يضعه.. في مصاف أشهر الأدباء ".

ويمضي الخفاجي.. في تصوير مزايا أديبنا الكبير حسب وصف الأستاذ الفلالي بأنه " من أرق الناس عاطفة، ومن أعمرهم قلبا، ومع ذلك يجتهد أن لا يظهر منه غير القوة.. وعدم المبالاة بالعواطف والاحتفال بها. ويصفه الاستاذ الفلالي بأنه: " عريق الشاعرية، ثابت القدم في لغته وأدائه وأفكاره وعواطفه، يغلب على كلامه المنطق، ولايدع العاطفة تتحكم فيه، ولكنه يتحكم فيها، ومع ذلك لا يفقد كلامه حرارة العاطفة، وهو يسمو في شعره، ويحلق في ضخامة شاعرية، وجزالة ألفاظ، ومتانة تركيب ، وتماسك أداء.. تماسكاً يذكر بفحول القدامى من الشعراء ".

ويذكر الخفاجي بأن شحاتة متأثر بالمعري، وبالمذهب.. الذي دعا إليه نيتشه، وهو يمقت الضعف ويزدريه ويحاربه.. وله فلسفة خاصة.. يضمها شعره، وأن هذا الشعر في عمومه - متشابه السمت، وانه يشبه الشاعر القديم - النابغة الذبياني، في نسجه وأسلوبه، وبالمتنبي في عمقه وقوته " .

ويعرج الخفاجي.. بأنه ورفاقه.. ربما جماعة رابطة الأدب الحديث، دعوا أديبنا الكبير.. أن يحاضر عندهم أو يلقي شيئا من شعره، أو ينشره، أو يعطيهم شيئا منه، ولكنه كان يعتذر فيما يشبه الرفض. ويذكر الخفاجي ما ألمحت إليه في هذا الحديث أن الرجل، اعتزل الحياة والاحياء.. والعيش مع الناس، ويصفه الخفاجي بأنه: غريب الروح والعقل والبدن.. لا تغريه مباهج الحياة. إنه يلقاك باسما.. ابتسامة السخرية، ويجيبك وديعا.. في رقة الزهر وحيائه، ويجادلك قوى الحجة، عميق المنزع، دون أن يغلبه أحد. ويتحدث في كل شيء.. يخوض فيه الناس، بفلسفة متشائمة، تحكي فلسفة أبي العلاء.. وسواه من فلاسفة الشعراء ". ويحمل الخفاجي الشاعر مسؤولية

صمته، لأن ذلك أدى إلى خسارة.. في حرمان المتلقي من ذلك الفيض الزاخر.. الذي ذهب أكثره.. وأنا قد التمست لشاعرنا وأديبنا الكبير بعض العذر.. أو العذر كله.

ويسوق الخفاجي في كلمته.. بعض أبيات للشاعر، منها :

لستَ تدري نعم ولا أنا أدري
لم تهفو إلى لقائك روحي
ولماذا أكون فيك كما تر
سف في السجن فكرة المكبوح

ومن شعره قوله:

آخر سبيلك الذي تتجنب
وأدنى حبيبك الذي لا تقرّب
فياليت لي منك التجنب والقلا
وراءهما ود الفؤاد المغيّب
فرب ابتسام دونه وغرة الحشا
واعراضه فيها الحنان المحجب

وقيـت الأسـى لـو أنصـت الحـب بيـ

ننـا لما بت أرضى فـي هـواك وتغضـب

في هذا الخطاب شكوى ضاجة، ويتساءل فيما شبه الاستنكار، بأن صاحبته.. قد تكون تخلت وأعرضت عن الوجهة الخيرة في معيته، وتبعد على من يقرب منها، ويتمنى لو أنه استطاع الابتعاد والهزيمة، ومع ذلك.. يظل الود يملأ قلبه ونفسه. ولعل ابتساما.. وراءه حشا يتوقد التهاباً، ولكن معطياته.. حنان فؤاد مهجور ومتجاهل.. إلى ما يشبه الإنكار والنسيان، وكأن عليه غطاء وحاجزاً. ورقة عاطفة الشاعر المحب، تدعو لصاحبته، بأن تجنب الأسى، وان الحب.. لو كان مشاركة بينهما، لما بقى راضياً بنصيبه في هذا الهوى الذي يشغل نفسه، وشريكه غاضب. ولعل كلمة - أنصت - صحتها: - أنصف - ، وهو أقرب إلى معنى هذا البيت. إذن الحب لم يصنف بينهما، فلم يكن متبادلاً ولا متقارباً.

وقبل القصائد التي جمعها الديوان، ونشر شطر منها في - شجون لا تنتهي - ، أجد مقتطفات من

محاضرة شاعرنا وكاتبنـا، وقـد أتيـت عليهـا.. فـي حديـث سابق. وأترك الشعر إلى الديوان.. لأصل إلى ظهر غلاف - الشجون - ، لأجـد كلمـة الأسـتاذ - أنـور زعلـوك - ، فهو يتحدث عـن معرفتـه بأديبنـا، ويصفـه بأنـه رجـل أدب وفـن وفلسـفة، وأنـه محـاضر وخطيـب. " إذا أحـب فأنـه يسخط، ويتبرم بكل شـيء. وإذا - خـاصم - ، خـاض المعارك.. في شراسة لا تعرف التراجع، وهو لا يعرف الوسط ولا انصاف الحلول. وأشد ما يستفزه ان يتعامل مع - نصف - رجل. وتأسره الرجولة، والأنوثة الكاملة، والحلول الجذرية الكاملة. عاش عاثر القلب، متوهج العاطفة.. قلق الفكر.. وحتى في أحلك الظروف كان أبياً، كريماً.. شجاعاً، لا يعرف الخوف، زاهداً.. عازفاً عن الشهرة والمجد، مقبلاً على الحياة.. في عالمه الخاص المحدود ".

" كان نموذجاً حياً لعذاب الفنان.. وقلقه.. وحيرته. وهو من عظم أدباء وشعراء العربية ".

وأراني مضطراً إلى النظر.. فيما كتبه الأستاذ - مختار الوكيل -.. عن أديبنا وشاعرنا الكبير.. مع الملحمة

الشعرية " غادة بولاق "، التي نشرت عام - ١٤٠٢ - هـ، في دار الجيل للطباعة بمصر، في (٣٢) صفحة - مع الكلمة الضافية للأستاذ مختار الوكيل.

وقبل التوقف وتأمل ما كتب الاستاذ الوكيل، أريد أن أسأل: لماذا غير عنوان هذه القصيدة.. حين نشرت في ديوان الشاعر في ص ص - ٥٥/٦٠ - وما بعدها، فجعل عنوانها ـ نفيسة ـ. وهو عنوان مصطنع، لو عرض على الشاعر لا ستسخفه ورفضه. وهذه القصيدة.. سبق أن نشرت في جريدة المدينة المنورة.. قبل نحو عقدين، بعنوانها الذي وضعه الشاعر ؟ والأمانة العلمية تقتضي أن تبقى الأشياء كما هي لا تغير، إلا إذا كان فيها ما يمس العقيدة، أو يتعارض مع الثوابت.. والأمور التي لا تمس ولا يخاض فيها. وعنوان هذه القصيدة، الذي عبث به ليس فيه مساس بمحظور ولا ممنوع، فلماذا غير وبدل ؟ والأدهى من ذلك والأمرّ.. انه لم يشر حتى مجرد إشارة عابرة في الديوان، كهامش، أو تحت الاسم الجديد الممسوخ، بهذا التبديل.. والتصرف غير اللائق، حتى يعلم القارىء.. الذي قرأ القصيدة في طبعتها بالقاهرة أو حينما نشرت في جريدة المدينة !

إن الأستاذ مختار الوكيل يصف أديبنا شحاتة بأنه:
شاعر مبدع.. من الطراز النادر في هذا الزمان، وأنه لعبقري.. متعدد الجوانب. إذ لم يقف عند الشعر والنثر والفلسفة.. وعلوم اللغة العربية وتاريخها القديم والحديث، بل تعدى ذلك كله.. إلى عشق الموسيقى والشغف بالعزف على العود، ولم يكتف بأن يكون أحد العازفين المعدودين في الحجاز، وإنما عكف على دراسة الموسيقى العربية، مقامات وأنغاماً، ومصادر لهذه المقامات والأنغام، وتاريخها عند الفرس. وفي الأندلس، وعند الأتراك وفي حلب، وماتولد من هذه المقامات، وكيف تتعاشق، وأين تتنافر ". ويمضي الأستاذ الوكيل في القول بأن الأستاذ شحاتة : كان من المثقفين الموسوعيين، الذين قرأوا التراث العربي .. قراءة استيعاب ونقد ودراسة عميقة، كما طالعوا.. كتب الأدب والفلسفة واللغة العربية ".

ثم يعرج على - بولاق - اسم الحي.. الذي اختاره الشاعر شطراً ينسب إليه تلك - الغادة -. فيذكر الاستاذ الوكيل. بأن بولاق.. في واجهة حي الزمالك الاستقراطي، وبولاق.. حي شعبي. وكان فيه المطبعة

الشهيرة، التي طبع فيها أمهات كتب التراث، وهي مطبعة - أميرية - ويعرج الاستاذ الوكيل إلى الحديث، وكأنه بين كفتي ميزان، فيذكر أن الشاعر - صالح جودت - كان قد نظم قصيدة عاطفية، تغزل فيها بفتاة من سكان حي الزمالك، - حي الوجهاء والاعيان - تحدث فيها عن - العيون الزرق، والشَّعر الذهب - وهو يصف فتاة الزمالك - الاستقراطية - بينما ابن الجزيرة العربية.. الذي يقيم بمصر، ينسج تلك الملحمة التي تبلغ أبياتها - ٩٩ - عن فتاة بولاق - بنت البلد - .

ويسوق الأستاذ الوكيل أبياتاً من قصيدة الاستاذ شحاتة العاطفية، وهي قصيدة غنائية.. رومنسية تمتزج مع العاطفة الصادقة المتدفقة.. بالتاريخ الموغل في القدم. وهو يرمز - أي الاستاذ الوكيل - إلى ما جاش في نفس الشاعر.. وهو يتحدث عن الغيد اللاتي كن يقذف بهن في النيل، مرتديات ثياب عرائس، وقد تغنى بهن وطاف بقصتهن أمير الشعراء أحمد شوقي رحمه الله. وهو القائل:

جاءت إليك بنفسها ونفيسها

وأتتك شيِّقة حواها شيِّق

ويعلن الأستاذ الوكيل أن الاستاذ شحاتة ذو ثقافة، " ترفعه إلى درجة عالية بين الشعراء المحدثين. وهو شاعر فذ، خليق بأن يدرس.. دراسة مستفيضة، على نطاق العالم العربي بأسره ".

ومادمنا مع – غادة بولاق – ، فدعونا نتوقف عندها بعض الشيء. ولعلي لا أطيل الوقوف عندها وذلك في حدود ما تحتمله هذه الوقفة.. لاستكمال هذه الحلقة الصحافية، والتي لا أسميها دراسة، ذلك ان الدراسة من ركائزها العمق.. وطول التأمل والتحليل والاستنابط والمقارنة بما يماثل ما يجد الإنسان أمامه، والإستشهاد.. إلى غير ذلك من سبل الدرس الممعن والمتأني، الذي يحيط بما يتناول، عن فهم وإدراك وذوق وحس ووعي، إلى غير ذلك.. من أدوات الدراس الفطن الملتزم.

يقول شاعرنا في غادته – البولاقية – :

الهمت والحب وحي يوم لقياك

رسالة الحسن فاضت من محياك

من أين يا أفقي السامي طلعت بـ

ـها حقيقة ، ما اجتلاها النور لولاك

كانت بنفسي - وقد طال المدى - حلـ

مـاً فصورتـه لعينـي اليـوم عينـاك

لـم أشـهد الحسـن يبـدو قبـل مولدهـا

إلا صناعـة أصبـاغ وأشـراك

حتـى بـرزت بـه ، فـي ظـل معجـزة

يضـاعف الصـدق معناهـا بمعنـاك

سـما الخيـال بهـا ، نشـوان منطلقـاً

مـن أسـر دنيـاه مشـغوفاً بدنيـاك

دنيـا الهـوى ، والمنـى تـروي مفاتنهـا

روافـد الطهـر شـعراً مـن سـجاياك

يحلق خيال شاعرنا في مطلع هذه القصيدة الرائعة، بأن غادته.. جاء بها أفق سام، وليست روحاً وخيالاً، ولكنها - حقيقة - ولولا الأفق ما انعكس عليها النور لامعة متلألئة.والبيت المطلع.. تساؤل.. إلى الافق، من أين أتى بها. وقد كانت خيالاً، يحلم بها وقتا طويلا، ثم ظهرت فجأة، وكانت عيناها انعكاسا لذلك الحلم في وقوع

عين الشاعر عليها. وإذا عدت إلى البيت الأول.. قبل ذلك التساؤل، نجد الشاعر.. يتحدث عن الالهام، ويصف الحب بأنه وحي.. من معطيات اللقاء، حين ظهر ذلك الاشراق الجمالي، باديا من طلعتها. ومع تحفظي.. في أن أبلغ الشعر أكذبه، إلا أن المبالغة، وهي من سيماء الشعر.. تلعب دورا كبيرا، وهي تضفي جمالا وبهاء ونسقا، هي من أدوات الشعر وجماله وتأثيره ومفاجأته. لذلك فشاعرنا وهو يصور فتاته. يجنح إلى المبالغة.. التي يعنى بها الشعراء الملهمون، بأن الشعر لم يرللحسن ظهور قبل مولد غادته، وليس النفي المطلق، وانما يعني الجمال والحسن الطبعي، غير المزوق وغير - الممكيج - وهو اصباغ صناعية، وشرك للإصطياد، أما الطبعي من الحسن.. فهو تلقائي، ليس فيه إعلان ودعاية، وهو لفتة لماحة.. لتصوير - بنت البلد - حين ظهرت بالحسن غير المجلوب.. كما يعبر أبو الطيب، ولا أدري ماذا يعني الشاعر بكلمة - معجزة ؟ فهي قد برزت بجمالها غير الصناعي، فهل ذلك يشبه المعجزة بمعنى حسن الغادة. ويصعد خيال الشاعر ارتقاء بما رأي في غادته - وهو نشوان - كاسراً حواجز دنياه الضيقة التي تكبله،

ماضيا نحو دنياها الثرية الطليقة، لان الحسن والجمال.. دنيا وعالم آخر، غيرِ حبيس وغير مقيد.

وفي عالم الهوى، يصور مفاتن الغادة، وأن معطيات الطهر تتداعى من سجاياها.

يا جارة النيل ، ما فاضت شواطئه

سكراً وعربد إلا من حُميّاك

ولا استهل شراع فوق صفحته

مغالباً وجده إلا ليلقاك

ولا سرت عبر مجراه نسائمه

إلا لتلثم في صمت الدُّنَى فاك

ولا تنفس فجر في خمائله

إلا ليملأ عينه بمرآك

والبدر ما زهدت عيناه في سفه

وجاب آفاقه إلا ليرعاك

وما شدت بذري ايك بلابله

إلا لتنعم بالتغريد أذناك

هكذا يمضي هذا الشعر الرائق المنساب كخرير جدول رقراق، تداعبه نسمة وسنى، على ما في هذا الشعر من مبالغة، لكنها مبالغة عذبة، تحبها النفس، إذ ليس فيها غلو بغيض وثقيل، حتى الوسائل غير الحية.. يبعث فيها الشعراء حركة من الحياة، ليكون لها إحساس وتعبير ودوافع، وشاعرنا يعبر عنها، وكأن لها السنة تنقل إليه ما تحس وما تشعر به لهذه الغادة الساحرة الفاتنة، بدءًا من النيل إلى الشراع المحب، والنسمة الحائمة لتقبلها في سجا الليل، والفجر واشراقته في الخمائل، فانطلاقه ليكحل جفنه بمرآها، والبدر الساهر، معرضا عن الغفو.. وهو يطوف في سمائه، لكي يرى هذه الفتنة.. التي تمشى على الارض، ويالها من محظوظة سعيدة، لان جمالها حقق لها أحلاماً.. ربما ما كانت تخطر لها على بال. حتى البلابل.. ما تغني الا لتطربها وتمتع أذنيها بذلك النغم، بل الانغام. التي تطرب.. وتبعث في النفس السعادة والارتياح النفسي، فتلذ لها الحياة الناعمة الكريمة. وتعكس هي أخيلة الشعراء الملهمين.. من النوابغ، تحملنا في الآفاق، لنطرب ونسعد بما نسمع ونقرأ ؛ ولنعيش في عالم من الخيال، كأنه سحر، وإنه لسحر البيان، وحين يكون الشعر شجياً

وكدراً ، تتغير الصورة والرؤى، من معطيات المعاني الثرية.. في هذا السبح الفني الجميل.

وفي هذا الخطاب.. نحن بين مخاطب - بكسر الطاء - وهو الشاعر، و - مخاطب - بفتح الحرف نفسه، وهي الغادة، والشيء الوسط بينهما، وأن شئت قلت اللغة، في هذا التعبير الشعري، موجه إلى المخاطب - بفتح الطاء - وهو خطاب شاعر، أسره جمال غير مجلوب، ولعلي لا أستطيع استكمال هذه الوقفة اليوم مع هذه الملحمة، وأكتفى بنقل أبيات منها.. لانهاء هذه الحلقة.

فضمك النيل في رفق فهمت به

حباً ، ووثقت نجواه بنجواك

يا ذخر ما فيه من فن وعاطفة

قيدته بهما ، لما تصباك

فأنت رهن حماه فتنة وهوى

لكنه بجواه رهن يمناك

جمعتنا السحر أسباباً فأيكما

في هول قرته المحكي والحاكي

كـانت ضحايـاه فـي المـاضي عرائسـه

فهـالني أن أراه مـن ضحايـاك

يأسـره المنطـوي فـي صمـت عزلتـه

هـل ضـاق فيـك بمـا عـانى فأنشـاك

عاطيتـه بصبـاك الغـض مترعـة

لـه كـؤوس الهـوى صفـواً وعاطـاك

لا أدري.. لماذا آثرت البدء في الحديث عن الأديب العملاق.. الشاعر الناثر، الأستاذ الكبير حمزة شحاتة.. رحمه الله، ولماذا آثرت في هذا التناول كتاب الأستاذ عزيز ضياء: " حمزة شحاتة ـ قمة عرفت.. ولم تكتشف " ؟

لعل مرد ذلك عدم وجود ترجمة لاديبنا حمزة.. عدا ما كتبه أبو ضياء في – سلسة المكتبة الصغيرة –. هذا هو الجانب المهم الأول، ثم إن أبا ضياء يكتب سيرة مختصرة لحمزة شحاتة، أو لمحات لحياته بإتقان. وكذلك تلك المداخل.. التي يسوقها الأستاذ عزيز ضياء في مقدمته ثم بقية صفحات الكتاب. وقد شدنى التناول

المركز، والاسلوب المتأنق فيه والانيق، والترف، والايجاز الذي يجعلك تحيط بالشيء وأطرافه بسرعة.. وفي وقت قصير. وأبو ضياء ذو قدرة على التحكم فيما يكتب، بتلك اللغة الرصينة.. البليغة الواضحة. ومن خلال معرفة وثيقة بالمترجم له ؛ فبجانب الصداقة.. فإن الأستاذ عزيز خال بنات حمزة شحاتة، غير أن عزيزاً لم يشر من بعيد أو قريب.. في كتاباته عن صديقه، عن تلك المصاهرة .!

وتوفر لي، وأتيح لي الحصول على ديوان شاعرنا شحاتة، ونفحنى أبو غازى .. الاستاذ عبدالحميد مشخص بـ : " الشعراء الثلاثة " الذي اصدره الاستاذ عبدالسلام الساسي رحمه الله عام – ١٣٦٨هـ ، وكذلك : " شجون لا تنتهى " فيه مجموعة من شعر الشاعر، وهو شيء مفقود. وأبو غازى.. رجل كريم معطاء وفيّ ، وذو اهتمام بالادب.. وخاصة أدب بلاده وأدباء وطنه، وعن الأدباء الذين عرف، خاصة في مصر.. التي أقام فيها سنين، وقد قرأ أدباء الوطن العربي. لذلك فان المجلس الذي يكون فيه مع الأدباء.. خاصة صديقه الاستاذ محمود عارف ومن يجمع مجلس العارف، فالادب وحديثه.. يدور رفّافاً، حتى

ليسرقك الوقت وأنت تنصت وتشارك.. فيما يدور من حديث عذب ذلك أن الأدب جمال وحلية، وبهاء وبلاغة.. يتصدر المنتديات، لانه لغة تأسر سامعيها من أهلها.. الذين حباهم الله بالحس، فأحبوا الكلمة الزفافة، لانها تعبير جميل.

وقد وقفت مع محاضرة الاستاذ شحاتة.. فيما مضى من هذا الحديث وكذلك كتاب الاستاذ أبي ضياء، مروراً بـ " شجون لا تنتهي -. وكتاب الاستاذ عزيز إذن مفتاح شخصية أديبنا حمزة شحاتة، وهو قد فتح للقارىء نافذة.. لاكتشاف تلك القمة، قبل صدور ديوانه مطبوعاً، ولعلي أعيد القول.. بأن هذه القمة أهمل اكتشافها. وغمطت حقها، كما هي حال بعض الكبار.. من رجالات الادب والشعر.. في الحديث وفي القديم. ونحن نسمى ذلك.. على نحو تلقائى - سوء حظ - .

ولعل أديبنا الكبير شحاتة شارك في هذا الابتعاد، بزهده في الحياة والناس، وهو لم يتجاوز فيما أتيح له من عمل اكثر من مدير عام نقابة السيارات في مكة، التي تشرف على شركات نقل الحجاج خلال العقد الثامن من

القرن الرابع عشر الهجرى .. ولعلي غلطت فيما سقت آنفاً ؛ حين قلت انه كان يعمل مدير شركة نقل الحجاج، وقد صحح لي وظيفة الرجل.. أخي الاستاذ محمد سليمان مناع.. شكراً لله له. ومحاسب إدارة البعثات بمصر. وهو ما يؤدي بحمزة شحاتة وأمثاله.. إلى الابتعاد والاعراض، ويرون في ذلك عزاء.

(٧)

وحين أبدأ في تقليب صفحات الديوان يصادفني في ص - ٣ - كلمة المشرفين على طباعة الديوان، وهما يقولان: وقد عهد الينا سموه - الأمير عبدالله الفيصل - بالاشراف على جمع.. هذه المجموعة، وإعدادها للنشر. وقد تحدثا في أربع صفحات كاملة عن مهمتهما.. في جمع القصائد من الذين احتفظوا بها وتبويبها حسب موضوعاتها، ومن أعانهما على مدهما بشعر الاستاذ شحاتة. وقالا بآخرة : " وقد بذلنا جهدنا في تصحيحه ما وسعنا ذلك ".

وإني أؤكد أن الاستاذ عبدالحميد مشخص.. هو الرجل الوحيد في البداية.. الذي ظل يسعى لجمع شعر الاستاذ شحاتة، حتى اوصل المجموعة إلى نادى الطائف الادبي لطباعتها، لكن اعتراض بعض الورثة أخر اخراج الديوان. وأقول بغير تحفظ إن الاستاذ مشخص والأستاذ محمد سعيد طيب.. هما الجادان في السعى لإخراج آثار الأستاذ شحاتة، وقد طبعت تهامة كتبه: الرجولة عماد الخلق الفاضل، وهى محاضرة الرجل، وكذلك: رفاة عقل، ورسائله إلى ابنته شيرين ". أما بقية القوم الذين يحتفظون بشعر أديبنا الكبير، فلم يعملوا شيئاً.. سعياً لنشره واخراجه للناس، ومجموعة القصائد التي عندهم.. هي التي عند مشخص بل وأكثر، إذا أضيف إليها.. ما حصل عليه الرجل بسعيه من الاستاذ - محمد سعيد بابصيل - ، والاستاذ محمد سعيد طيب - شعراً ونثراً -. فالشكر للأمير عبدالله الفيصل على تفضله واهتمامه باخراج الديوان وطباعته على حسابه الخاص، والشكر كذلك للاستاذ عبدالحميد مشخص، الذي دأب سنين يجمع آثار الرجل الشعرية والسعي في نشرها، ثم للعضو المنتدب في

تهامة الاستاذ محمد سعيد طيب، على سعيه في جمع وطباعة آثار الاستاذ شحاتة النثرية، وهم الحقيقون بالشكر والتقدير.

ثم ماذا في كلمة - المشرفين - ، لا أجد شيئا ؟ ولم يقولا.. إنهما وكلا أمر الاشراف على طباعة الديوان لـ رجل - اسمه كذا، ومهنته كذا، كأنه شيء مسكوت عنه رغم أن ذلك في صميم مسؤوليتهما التى قبلاها وتحملاها من اهتمام الأمير الذي تبنى طباعة الديوان والانفاق عليه.

إن الرجلين اللذين وكل إليهما الاشراف على طباعة الديوان.. قد قصرا في واجبهما، فكان النقص الذي سوف أتوقف عنده في هذه الصفحات وما سيلتوها إن شاء الله، إذن هما ليسا أهلاً لتحمل هذه المسؤولية. وهذا يضاف إلى حظ الشاعر - حياً وميتاً -. والرجلان رميا بالحمل، ليزيحاه عن كاهلهما.. إلى رجل هو أستاذ جامعى مختص في الدارسات الادبية على نحو ما. وكنت أوثر لو أن الاستاذ عزيز ضياء، وهو أقرب الناس إلى الشاعر، ليشرح شعره، وأعنى الغامض منه، أو قل كلماته، أو أحد المختصين في الدراسة الادبية من النقاد عندنا.. من

رجالات جامعاتنا. ولست استكثر على الرجل الجامعي الذي وكل إليه الاشراف على طباعة الديوان وبيان معاني الكلمات اللغوية.. التي لا يدركها القارىء.. إلا بعد الرجوع إلى المعاجم . وليس كل قارىء يملك المعاجم.. ويتاح له الرجوع إليها ليعرف معانى الكلمات التي لا يفهمها، وهى كثر في شعر الاستاذ شحاتة، وسوف أتوقف عندها من خلال هذه الوقفات السريعة، لانها.. ليست دراسة لهذا الشعر الذي كثيره جيد وممتاز. والدارس المحلي يدرك معانى الالفاظ المحلية والعادات ومعطيات أخرى.. ليس من السهل أن يلم بها غير ابن التراب. وقد وجدت أخطاء في المعانى.. لبعض الكلمات لا يتسامح فيها مع أستاذ جامعي، وسوف أمر بذلك وأشير إليه بحول الله وقوته.

وديوان حمزة شحاتة.. كان ينبغى أن يكون نصيبه من شرح معانى الكلمات، والاستشهادات بشعر آخرين، فيما يتقابل معانيه، كما فعل الشراح.. في ديوان المتنبيء. كفعل البرقوقي والعكبري، لان شعر حمزة شحاتة يستحق هذه العناية، وقد رأيت مهمات مشرفى دواوين الكبار..

يشغلون نصف صفحة وأكثر، شروحات واستشهادات لشعر آخرين.. لتلاقي معانيها، وكان ينبغى ان يتحقق الحد الادنى لشعر حمزة شحاتة، لكن ما رأيته يشبه - سلق البيض - .. ولو سأل سائل، لقيل له : - السرعة - وكسب الوقت. والسرعة جناية على الادب، وكان الاستاذ العميد الدكتور طه حسين يقول: أخطر شيء على الادب هو السرعة. حتى لقب الشاعر، كلمة - شحاتة - كتب الهاء غير منقوطة هكذا : - شحاته - رغم مقدمة الاستاذ عزيز المنشورة في الديوان.. روعي فيها - التنقيط..

إنني أجد الاستاذ عبدالعزيز الربيع.. رحمه الله، حين قدم ديوان السيد/ محمد حسن فقى " قدر ورجل "، كتب مائة صفحة.. هى دراسة لهذا الشعر، والدكتور عبدالله الغذامي.. الذي كتب مقدمة ديوان الأستاذ حسين عرب، كانت مقدمة رجل يتقن دراسة الادب، بجانب نقده، وإن كان لا يفترض.. في هذه المقدمات ـ الانتقاد ـ .

والأستاذ العالم الجليل الشيخ الطاهر بن عاشور.. الذي حقق ديوان الشاعر ـ بشار بن برد ـ . كتب أكثر من

مائة صفحة.. مقدمة دراسية لهذا الشعر، وشرح الفاظه ومعانيه، ونحن ندرك عمق هذا الشعر وعصره، وهى دراسة أدبية نادرة اليوم. والشعر دراسة وتخصص، ولايكفى رجل تخصص أدباً أو لغة.. الاشراف على ديوان شعر، صاحبه – حمزة شحاتة – ! وربما احتاج الديوان.. إلى البيئة.. لمعرفة الكلمات والاسماء المحلية كما أشرت آنفاً. وقد مر بي.. في قراءتى العابرة كلمات تحتاج الى شرح، ولكن الرجل الذي حمل عبء الاشراف على إخراج الديوان وتصحيحه. وهو قد سجل في آخر – الفهرست – ، ص – ٣٤٩ – هذه الكلمات: " كلمة القائم على ضبط الديوان، وشرح مفرداته، وطباعته.. الدكتور بكري شيخ أمين " . لكنه لم يؤد ما التزم به وأعلنه القارىء هذا الديوان. وقد رأيت الدكتور بكرى.. يقدم كلمات في – صمت – ، ومنها على سبيل المثال.. محلة – النقا – في قصيدة – وداع – ، ص (٤٣).

وهو اسم حارة.. في مكة المكرمة، ولعل الدكتور بكرى.. الذي عاش بيننا سنين، أستاذاً بقسم اللغة العربية،

بجامعة الملك عبدالعزيز.. لايعرف معنى هذه الكلمة أو قل مسماها ! وربما لا يعرفها قارىء ما.. في جزيرة العرب ! فكيف الحال بقارىء الديوان.. في غير موطن الشاعر ؟.

وأنا اجد مقدمة الدكتور بكرى للديوان.. ليست مغنية، ولكنها سطحية، لا تؤدي شيئاً، وقد أشرت إلى بعض تلك المقدمات الحفيلة بالدرس والعناية بما بعدها.. من نصوص، بفكر واع وتأمل ودرس.. يستحق الدرس، للوقوف على ما وراء المقدمة من نتاج وبحوث ! وأقول في غير احتياط، لم يعجبني دور أو عمل الدكتور بكرى شيخ أمين.. في تقديم ديوان شاعرنا الكبير حمزة شحاتة رحمه الله. ذلك أنه أداء هامشي، نسجه الدكتور بكرى كيفما اتفق، وكان ينتظر منه، وهو رجل ـ أكاديمي ـ ، متخصص في الادب العربى ودرسه.. أن يكون فاعلاً، فيقدم الديوان في أحسن صورة دراسية.. إلى القارىء العربى في كل مكان، ويقدم شرحاً.. لأبيات وقصائد الديوان ذات القيمة الادبية، ولا أقول.. إن كل قصائد الديوان قمة في نظمها، وإنما هى تتراوح قوة وضعفاً،

وحتى القوي فيها، لابد أن يجد الدارس أبياتاً وكلمات لا تعجبه. وهذا ما سأظهره عند الوقوف عندها. وأن يبين الرجل الدارس من واقع مسؤوليته التى التزم بها وسجلها على نفسه، أن يقدم شرحاً وتوضيحاً للالفاظ اللغوية، غير أن ما أداه الدكتور بكرى.. لديوان شحاتة شيئا يسيرا محدودا، لا يليق بالشاعر الكبير، ولا دارس الادب واللغة العربية. والاعمال الادبية نراها، حين التقصى يظهر فيها النقص.. حينما يتاح لقارىء واع الاطلاع عليها ودرسها. وأنا مضطر إلى القول :

ولم أر في عيوب الناس عيباً

كنقص القادرين على التمام

وقد أردت بهذا التمهيد.. الحديث عن مهمة الاستاذ الجامعي في تقديم ديوان يطبع لشاعر مجيد.. يطبع لأول مرة فهو حقيق بالمزيد من العناية والبحث، والوقوف عند القصيدة وأبياتها، تأملاً وشرحاً وحديثاً، كما صنع مقدمو دواوين.. شعراء قدماء ومحدثين.

وأريد أن أسأل : هل مهمة الدكتور بكري.. أن

يضع فقط - الشكل - على بعض الكلمات.. التى يراها - هو - لازماً لها ؟ وأنا مضطر إلى القول.. إن مثل هذه المهمة، يمكن أن يؤديها محرر ومصحح في جريدة أو مجلة، وليس مهمة دكتور وأستاذ جامعي أكاديمي.. متخصص في الادب ودرس اللغة العربية.. وتقصير الدكتور بكري مع شاعرنا الكبير محسوب.. على الاستاذ الجامعى، دارس الادب، يحسبه عليه الادباء والدارسون والنقاد الجادون. وكان في مقدور الاستاذ بكري شيخ أمين.. الاعتذار عن أداء هذه المهمة، إذا كان مشغولا عنها بشواغله. ولا أقول.. إذا كان غير قادر عليها أو أنه ليس أهلاً لها، شرحاً ودرساً وتمحيصاً.. لمعان وبيان كلمات لغوية، حتى لا يسيء أستاذ جامعى لنفسه.. حينما يظهر قصوره فيما ينهض به من عمل، ذلك أن التشكيك قائم في تقصير بعض الجامعيين، الذين يحملون شهادات عليا، لانهم عاجزون، وقد اكتفوا من الغنيمة بالاياب، وتراهم يثرثرون بكلام لا غنى فيه، وذلك لسد عجزهم، وهم يتكلفون، لانهم مفلسون، فيجنحون إلى الحياة في - الظل - ، لكن الجناية.. تتحول إلى الجيل أو الأجيال التى

تتلقى دروساً لا خير فيها. وهذه النماذج.. ينبغى أن تغربل وتحول إلى أعمال ادارية، لانها مفلسة، وكما يقولون: فاقد الشيء لا يعطيه. ولست أعني بهذا التعليق الدكتور بكري، لكن الشيء بالشيء يذكر كما يقال !

وحين أدير الحديث عن صاحبي بكري شيخ أمين، فإنى أعلن في صدق أنه.. رجل لطيف المعشر، تربطنى به علاقة أيام كان عضو هيئة التدريس في كلية الآدب – قسم اللغة العربية – ، بجامعة الملك عبد العزيز، وقد تعاون مع النادى بعض الوقت.. في غربلة ديوان الشاعر – علي دمر – ، واستبعاد قصائد، كانت رهينة وقتها، رأى الدكتور بكرى، ورأيت معه استبعادها، فأدى جهدا مشكورا في ذلك، وهو صديق عزيز، التقيت معه مجددا في الجنادرية.. عام – ١٤١٥ – هـ ، وجاء الى جدة ولم نلتق، وترك لي رسالة رقيقة.. غير أن أمانة قراءتي لديوان شاعرنا ؛ تقتضي أن أقول ما أرى من نقص وتقصير ؛ وكذلك الإشادة بالوفاء والإتقان وإلى الله تُرجع الأمور.!

إنني أريد بهذه الوقفة الجانب العلمى، الذي يحتم

على رجل أكاديمي.. يُعلّم، اجيالاً، أن يخلص، وأن يؤدي ما وكل إليه.. كما ينبغى، بأمانة وبدور العالم في تخصصه، ليكون العمل كاملاً ومتكاملاً.

غير أنى لم أر جهداً يذكر.. في قيام الدكتور بكرى، بإشرافه على إخراج ديوان أديبنا الكبير.. حمزة شحاتة. ولا أعدو الحقيقة.. إذا قلت أن ما أداه ذلك الاشراف .. لا يتجاوز دور - مصحح - تجارب - بروفات - ، في جريدة سيارة أو مجلة كما أشرت آنفاً. وحين يتصفحها قارىء، أي قارىء. تواجهه أخطاء مطبعية ونقص وسقط، فيصب اللوم على جهاز التحرير.. وعلى المصححين.. وقد يكون المصحح دون المستوى، وغير جدير بما وكل إليه، غير أن ظروفاً شتى تتيح لهذا المصحح العمل فيما لا يتقن.

وأنا أعتذر إلى الصديق بكرى.. إذا قلت إن مهمته لم تتجاوز مهمة المصحح التعب الضعيف.. في مجلة أو صحيفة، ويسعفه الحظ فيبقى بعض الوقت، ثم يرفض.. حين يصحو رئيس التحرير.. أو جهاز التحرير، ويدرك أن من يؤدي تلك المهمة معهم غير أهل لها، لانه -

خالي الوفاض بـادى الانفـاض – كمـا تقـول العـرب. وأنـا وأصدقاء الدكتور بكرى. لا يرضينا جميعـاً أن يكـون أقـل مما يراد منـه ويرجـى ؛ لاسـيما مـع شـاعر فحـل، وشـعر نابض قوي !

ورغم أن الديوان طبع قبل ثمـانى سنوات، إلا أن يدى.. لم تمتد إليه لقراءته، لانى مشغول عنه بغيره.. مـن أعمالى اليومية، غير ان الاجازة، مـن احتياجاتهـا بالقيـاس الـيّ وإلـى أمثـالي.. صحبـة بعـض الكتـب، لتكـون سـلوى ومطالعة؛ وربما دراسة .

ولعل الملتقى بأبي غازي.. عند استاذنا العـارف، بين حيـن وحيـن، ممـا يثـير الحديـث.. عـن الادب بعامـة. والشعر خاصة. ويأتى خلال الحديث ذكـر الشـاعر الكبـير حمزة شحاتة، وكان حقـه.. أن يشـغل النـاس، كمـا شـغلهم المتنبي إلى اليوم، بعد أكثر من عشرة قرون، وهو القائل:

أنـام مـلء جفونـي عـن شـواردها

ويسـهر الخلـق جرّاهـا ويختصـم

وحمـزة شـحاتة.. يسـتحق التـأمل فـي أدبـه شـعراً

ونثراً. وشخصيته وإبائه، وشعره الذى ضاع أكثره، ساهم الشاعر نفسه في ذلك، وقد ألمحت آنفاً، إلى أن مرد ذلك اليأس، فلم يبق أدبه، لانه قدر أنه غير مقدّر. وشخصيته الطاغية في قوتها وشممها، حين لم تنل نصيبها من الرفعة والتقدير والعناية، تقديراً لفكره ونبوغه وعبقريته، أعرض عن الناس والحياة. وأحرق شعره ومزقه شر ممزق. بل أقول اعتزل الحياة والاحياء.

كنت أرجو أن يكتب الاستاذ الجامعى الدكتور بكرى مقدمة لديوان هذا الشاعر الذي يدخر في زمرة الشعراء المتميزين حديثاً وقديماً، ويشرح الغامض من ألفاظه، لانه ينحو في نسيجه الشعرى.. نسيج الشريف الرضي، وأمثاله من كبار الشعراء، ويشرح الدكتور بكرى الغامض من الالفاظ.. كما صنع الاستاذ كامل الكيلانى مع ديوان ابن رومي وابن زيدون.. ، و كما فعل غيره من دارسى ومحققي شعر الشعراء الفحول . والدارسون.. يعرفون ما قام به اولئك الرجال من اخراج دواوين الشعر، وكتب النثر، بذلك الجهد المتميز. والدكتور بكرى.. سبق له أن كتب عن الادب في المملكة العربية

السعودية، وهو رجل.. أكبر الظن أنه يشرف على - الاطروحات - ويوجه طلابه إلى المصادر، وهو يدرك أن أمامه لجنة فحص وتدقيق وامتحان مع الطالب.. ووراء المشرف المزيد من هذا الحرص.. في أداء الأمانة والواجب. كان ينبغى أن يكون نصيب ديوان حمزة وافياً، عناية تدقيق ودرساً وشرحاً وأداء وتكاملاً، لا تلك السرعة المخلة، والنقص البيّن، فليس هذا حق الأدب الحي النابض، والشعر خاصة. والدكتور بكرى.. قبل أمانة الإشراف على ديوان الشاعر، ومتطلبات الإشراف.. التي يدركها هو والدارسون الواعون والحراص.. على اخراج اعمالهم متكاملة الاداء، هذا الواجب.. لم يؤد كما ينبغى.

لقد تجاوزت عن الوقوف على مقدمة الأستاذ عزيز ضياء في الديوان، لان ما قاله الأب عزيز سأقف عليه.. من خلال هذه الالمامة، وقوفاً على القصائد. ولن أتوقف على مقدمة الدكتور بكرى شيخ أمين، التى عنوانها: " ما تم عمله في هذا الديوان ".. سوى عند كلمات قالها، منها: فلقد سعدت يوم كلفت بالاشراف على ديوان الشاعر الكبير حمزة شحاتة، وإعداد ما يلزم من

نواح علمية أو فنية لاخراجه إلى الناس على الصورة – الطيبة المقبولة – " تعبير ركيك من أستاذ جامعى، مثل : إعداد ما يلزم، وطيبة ومقبولة إلخ ". فأين التعابير المتميزة الأدبية الراقية ؟ ويشير في ص – ١٥ – من مقدمته عن الغريب والغموض والتركيب المتعاضل والإبهام. وإنى أتساءل : أين دورك يادكتور ومهمتك في ذلك، في توضيح الغموض والابهام والغريب والتركيب المتعاضل، وأنت أستاذ أدب عربي ولغة عربية ؟ وأين – الصورة الطيبة المقبولة !؟ ويقول الدكتور بكري.. لا فض فوه، ولابر عادوه في(١٧) من مقدمته : " أما موضوع ضبط الكلمات وتشكيلها فقد آثرت أن اضبط ما يشكل على القارىء – بوجه عام – ".

وأقول : ولكنك لم تفعل إلا الاقل الاقل. وأين – الأهم – الذى تجاهله د. بكري، وهو شرح الكلمات.. لبيان معانيها ؟ أليس ذلك مهما.. ومهما جدا ؟. وقد أهمله د. بكرى، مع انه يعلن.. أنه استعان بقواميس في اللغة العربية، فهل هى لم تفده.. أم هو حشو وإيهام !؟ والحقيقة انها لم يكن لها وجود فيما ترك، وأعده إهمالاً، وهو ما

يحتاج بالضرورة الى شرح الكثير من الكلمات.. لتبيان معانيها، وسوف أشير إليها. وأسال : أين دور : القاموس المحيط، وصحاح الجوهرى، ولسان العرب، والمعجم الوسيط. التي يقول عنها - إنها وسيلته لهذا الشرح في الحاشية - ؟. ولم يعجبنى قول الدكتور بكري، وهو يتحدث عن مراجعة التجارب (البروفات) لاخراج نصوص الشعر - قدر الامكان - فجملة " قدر الامكان " ليس عمل أو كلام علماء، وإنما هو تعبير عمل يندرج في تعبيرنا السائر لـ : " علاقة الاجاويد ". وهذا يعنى أن العمل - على قدر الحال - ، ولا - تدققوا معنا - في الضبط والربط. أهكذا يريد أن يقول أستاذنا الدكتور بكري شيخ أمين ؟

إننى أؤكد صادقاً، ودي للرجل، للطفه ووداعته، غير أن العلاقة الشخصية شيء، والعمل وانجازه واتقانه شيء آخر. ومشكلتى.. أننى لا أهادن ولا أجامل في ذلك. ولا عليّ إذا كانت كلمة الحق لم تدع لي صديقاً، كما كان يقول الفاروق عمر.. رضي الله عنه. إن كلمتى قَدر الامكان ليس منطق ولغة الجادين من الرجال، وليس هذا

تعبير العلماء.. الذين يتصدون للدرس والاعمال الادبية، إنما هو تعبير غير المحسنين، وغير الواثقين من أعمالهم وأدائهم. وأنا أقرأ وأدرس كغيري أن الامة الإسلامية أمة جادة في تاريخها الطويل، وأن الأمور الشواذ لا يقاس عليها، لانها من طبيعة الحياة. وبودى لو قرأ الدكتور بكرى، والذي يعنيه هذا الموضوع.. مقدمة الشيخ الطاهر بن عاشور التونسي، لديوان بشار بن برد، الذى طبع.. في شهر ابريل من عام - ١٩٧٦ - عن طريق الشركة التونسية للتوزيع.. والشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر ؛ وقد بلغت مقدمته الدراسية.. لذلك الشعر غير السهل في لغته وتراكيبه ومعانيه (١١٦) مائة وست عشرة صفحة ؛ والرجل فقيه.. ومفسر لكتاب الله، وهو كاتب وذوّاقة وقوي في لغته وقدرته على الدرس. ولست أريد أن أثقل على صديقى الدكتور بكرى، ولاأريد إغضابه بأكثر مما قلت.!

استوقفتنى كلمات للأستاذ عزيز ضياء في مقدمة الديوان، فهو يقول مثلاً : " لا أجد في جملة ما قرأت، ما يجعلني أشعر أنه تفوق على نفسه، أو حتى جاء بمثل

الروائع.. التى عرفت له في بداية حركة ابداعه، مما سبق أن نشر له في الصحف، أو فيما عنى بنشره الأستاذ عبدالسلام الساسي رحمه الله ". ولم يعلل الأستاذ عزيز ما ذهب إليه. وعندي.. وهو أقرب تفسير لتلك الظاهرة التي أميل إلى الأخذ بها، أن شاعرنا أدركه اليأس، فكان رد الفعل، وهو ما حدا به.. إلى شيء من الخمود والهمود، فلم تستمر جذوة التوقد مشعة متوهجة. والغمط يدفع بنماذج من الرجال ذوي الحس الشفاف المتوهج.. وحتى النساء إلى البعد والإعراض، وهذا التوجه يدفع إلى الظل - ، ولعل من يسأل : من أجل من هذا العطاء الفكرى والابداع ؟ أفي سبيل من لا يقدرك، ولا يعني بك ؟ وحتى في غيابك لأية حالة طارئة تنسى، وقد يتنكب طريقك، وربما اهتم بما تنتج وأنت قادر وواقف في الساحة، فإذا غبت نسيت ! فأين الوفاء والغيرة والتقدير.. لمن يحترق ليضيء السبيل للآخرين العابرين في الليل المدلهم ؟. وأرى أن في البعد عزاء. وأنا استثنى وهو حق الصحب والمقربين، لان الوفاء في نفوسهم طبع ! هذا هو التفسير عندى.. لما ذهب إليه أبو ضياء.. في خمود جذوة الشاعر

حين تقدمت به السن بعض الشيء، لانه توفى في الثانية والستين بالتاريخ الهجرى، أي ستين عاماً ميلادية.

ويقول الاستاذ عزيز: " وككاتب أشعر أن نثره، إن لم يكن أقوى من شعره كثيراً، فانه النثر الذى تشعر بقوته، ولا تملك إلا أن تستزيد من قراءته". وأنا أميل إلى هذا الرأي، لان الشعر مراسه صعب، لاسيما الشعر العمودى.. فله قيوده التى لايتغلب عليها إلا الكبار العباقرة، ومع ذلك.. نجد هنات وأخطاء ومآخذ،والشاعر : بشر.. يصيب ويخطىء ! والشعراء الذين يتميزون كتاباً وشعراء مبرزين قلة عبر التاريخ الادبي الطويل في عالمنا العربي، ولست أعنى بشعر العلماء.. الذى لا يخرج عن دائرة النظم، ونجدهم مبرزين في نثرهم، فما يقولون ليس شعراً بمفهوم الشعر وموازينه وتعاريفه الدقيقة. ونحن قد قرأنا محاضرته الرائعة ؛ وكم يشوقنا أن نقرأ ما يتاح لنا من رسائله إلى أصدقائه، فهي قطع فنية، غاية في السبك والجمال والأداء والقوة، لانها صادرة عن فكر مستنير.. له رؤية وفلسفة في الحياة، تختلف عن رؤية الكثير ممن يكتب ويعبر، ويجمع هؤلاء وأولئك.. كلمة كاتب. وأنا أقرأ أحياناً لكاتبين كبار، فأصدم بأسلوب ثقيل

متنافر، أشعر وأنا أمر عبر الكلمات والسطور، كأن - حجارة - تتحدر من أعلى جبل، تحدث - فرقعة - مزعجة، مع إن ارسال الكلمات ردىء ومضطرب ومنفر للقارىء أيا كان مستواه، فليس في ذلك جاذبية تحبب إليك أن تمضي في قراءة ما بدأت، ولكن سرعان ما تشعر بالملل، فتتحول عن المضي في استكمال ما بدأت وأخذت فيه من المطالعة، لان أسلوب الكاتب لم يرق لك، ولم يجذبك إليه، وإنما هو منفر وثقيل على نفسك، فتتصرف عنه الى غيره، مما يلائم مزاجك ويطربك ويمتعك، لانه كتب بأسلوب فيه جمال، وسبك متقن، إلى حد الروعة.

* * *

ونبدأ في تقليب صفحات الديوان، حيث يبدأ الشعر الغزل من ص (١٥) ، وأول قصيدة فيه.. عنوانها: " سطوة الحسن ". وهى من القصائد المشهورة والمبكرة، يحفظها الكثير، ويعرفها الكثير، ومطلعها :

بعد صفو الهوى وطيب الوفا

ق عزّ حتّى السلام عند التلاقي

ويشرح الدكتور بكرى أو يفسر كلمة (عـز)، وقـد لا تحتاج إلى تفسير وشرح، لكن ما يتطلب ذلـك، أعـرض عنه صاحبنا، حتى توزيع الكلمات وفق تفـاعيل الـوزن قـد لا تجد عناية المشرف، فهو يجعـل فـي الشـطر الاول مـن مطلع القصيدة حرف – القاف – ومكانه في بـدء العجـز ! والبيت السادس من هذه القصيدة، نقرؤه في الديوان هكذا :

إذ تهـــاديت مبـــدلاً نظـــرة العطـــ

ـــف بـــأخرى قليلـــة الأشـــواق

وكلمة – أشواق – الكلمة الاخيرة فـي البيـت.. لا معـنى لها، وصـحـتها " الاشـراق "، فأنا أحفظها هكـذا. وقد وجدتـها كذلك – الاشـراق– فـي ص٤٢ – ، من كتــاب : " الشعراء الثلاثة "، محمـد حسن عـواد، وحمـزة شـحاتة، وأحمد قنديل ؛ الذى أصـدره الاسـتاذ عبدالسـلام الساسـي في عـام – ١٣٦٨ –هـ ، وطبـع فـى مطبعـة دار الكتـاب العربـي بمصـر. وكتـب لـه مقدمـة قصـيرة الشـيخ محمـد سـرور الصبـان، بتـاريخ غـرة المحـرم، مـن سـنة صـدور الكتاب. والمقدمـة تشـيد بهـذه النمـاذج الشـعرية والشـعراء الثلاثة، وأنـهـم – من نخبة من الشعـراء الممتازيــن – فـى البـلاد. وأن فى " البلاد نبوغاً أدبياً ".

والغلطة المطبعية التى حلت في قافية البيت السادس التي أشرت إليها أذهبت معنى البيت الجميل. وكان ينبغى مراجعة الديوان بعد طباعته، سواء من المشرفين الاولين أو المشرف على طباعة والتصحيح والاخراج، وجميعهم مسؤول، أقول كان ينبغى قراءة الديوان بعد الطباعة، ويتم كتابة صفحة بالتطبيع، تثبت فى آخر الكتاب، كتنبيه للقارىء.. بما وقع من اخطاء طباعية، وحتى أخطاء أخر فى تفسير خاطىء لمعانى بعض الكلمات، وما يظهر من جديد.. عند المرجعة، ولكن شيئا من ذلك لم يكن، وكأن الهدف سرعة طباعة الديوان وإخراجه، ولا ضير أن تكون فيه أخطاء عارضة، قليلة أم كثيرة، وقد تنسب إلى الشاعر، وهو الرجل الحاد الصارم، الحريص على سمعته وأدائه، لأن هذه القصيدة تنشد فى الطرب والمناسبات، وهى مشهورة منذ نظمها الشاعر..

وتهيأت للسلام ولم تفـ

عل ، فأغريت فضول رفاقي

والعجز " مكسور "، ولا يصح ان يكون من

الشاعر الموهوب. والسبب سقوط – حرفين، وهما – بي – بعد – فأغريت – ، ليكون هكذا: " فأغريت بي فضول رفاقي ".

وبذلك يستقيم الوزن والمعنى معا . إنّهما خطأن فى بيتين متتابعين وهي قصيدة مشهورة، يحفظهما ابن – الشارع – ، والثالث سقوط بيت من هذه القصيدة الغزلة الجميلة، وهو قول الشاعر :

كنت بالأمس مسعدي فتغير

ت كثيراً ، فهل سئمت اعتلاقي

وموضعه بعد البيت : – هبك أهملت واجبى. وقبل البيت: – واعترى قلبك الملال – فأين متابعة وتدقيق المشرفين فى هذا الخلل المخجل ؟

والبيت الساقط جميل، وإن لم تعجبنى كلمة – كثير – فى عجز البيت، لانها قلقة هنا. وقد نقبلها فى قول شاعر: يا كثير الاعراض – .

ولكنها في بيت شحاتة – حشو – ليكمل وزن البيت. أما قول الشاعر :

قــد يطــاق الصــدود ، يوجبـــه الذنـــ

ـــب ، وصــد المـــلال غـــير مطـــاق

فهو بيت رائع جداً، ممرع المعانى والبناء والبلاغة واللغة.. والاداء. فالشاعر لا يعترض على - الصد - لقاء ذنب من المحب اقترفه، وهو يوجب الترضية والاعتذار والتراجع، غير أن الوجه الآخر للصدود، الذي مرده الملل، فهذا لايطاق، ورقة الشاعر وموقفه أمام الحبيب ، لم يستطع أن يقول انه مرفوض ، لانه أمام " سطوة الحسن " التي تمارس الجور والاضطهاد والتفنن في ارتكاب أساليب جائرة.!

ويعجبني كذلك قول الشاعر الصديق البارع الملهم الأديب البارز : فاروق شوشة :

قــد يطــاق الجمـــال حينـــاً ولكـــن

كـــل هـــذا الجمـــال كيـــف يطـــاق ؟

وقصيدة " صحوة " ص - ٢٢ - ، قصيدة جيدة وممتازة، في بنائها ومعانيها، أما لغة الشاعر.. فهي ما نعهده من القوة والبلاغة وجمال السبك والاداء، ومطلعها:

جمـــال ولكـــن مـــا أراه يَثيـــب

ووصـــل ولكـــن ، لا أراه يطيـــب

ويشـرح الدكتـور معنـى – يثيـب – بـ : يكافـــىء ويجـازى – مـن الثـواب – ، وتعنـي : يُعيـد ويُرجـع " والمعنى الميسر الواضح ليثيـب.. هـو – يعطـي – ، أي جمـال لا يمنح، ويفسر ذلـك عجـز البيـت، والوصـل غير متوقع أن يطيب. وهو أقرب من : يكـافىء ويجـازى. ولا معنى هنا : لـ يعيد ويرجع، فالمعاني من معطيـات قـراءة النص، وليس اجتهادات واستخراجات لغويـة. وروائـع قـول الشاعر المجيد :

همـا ظلمـة المـاضي انجلـت وتقشـعت

ولـــو أن جرحـــاً خلفتـــه خصيـــب

نـــألفني الداعـــي إليهـــا بحزنهـــا

ألا إنّ حـــزن الجانيـــات عجيـــب

كنت أريد من الاستاذ الدكتور، أن يظهر للقـارىء معطيات هذين البيتين، ويبين المعنى العـائد مـن – همـا –

وأراه يعني: الجمال والوصل. وقد تركا جرحا ذا نماء. إذن جمال بخيل، ووصل لا يعول عليه، ومعطياته هذه المنغصات، ودوافع النفس والهوى، أوقعا فى الحزن من الحرمان، وحزن الجاني فيه العجب، لانه جائر ومتجاوز للحد. ويمضي الشاعر فى القول :

وهل بيننا من سالف الود موقف

نلوذ به في يومنا ونثوب

ونحن على قرب الديار وبعدها

غريب ، نأت أحلامه وغريب

يسأل الشاعر.. هل ثمة فى الود الماضي ما يستحق ان يركن إليه، وهو مدرك انها علاقة متأرجحة لا عماد عليها، ولكن الشاعر يمعن فى السؤال، بحثا عن حالة تتيح الالتفاف بها مجدداً والعودة إلى الماضى. وشرح الدكتور بكرى معنى – نثوب – ، بـ : نرجع ونتوب. والكلمة الثانية لا معنى لها هنا. والكلمة الدقيقة هي – نعود – . ورائع قول الشاعر فى الغربة ونأي الاحلام وقرب الديار وبعدها. إنها مقابلات رائعة. وتعبير

أروع. وكنت أود لو أن صاحبى عنى بشرح هذه المعانى الغزار من خلال درس أدبى ، لان هذا الشعر المتوهج.. يستحق من أمثال الدكتور بكرى التأمل والشرح والبيان، والصاحبان فى القرب والبعد، غريب، بعدت به أحلامه، وغريب آخر، بعد عن صاحبه، فهما غربتان تتقاربان وتتباعدان، لكن التأثير فى نفس الشاعر.. ربما كان أكثر إيلاماً، أما ذو الجمال، فانه ملاق قرباً وهوى آخر، وإن كان فى داخله شىء من إحساس للماضى وشيء من روابط هوى، غير أن الشاعر أكثر إلحافاً فى الشكوى، ربما لانه قادر على التعبير، وربما لانه أمضّه الهوى. إذن الغريب الأول فى ترتيب البيت وفى معطيات المعانى.. يختلف عن الغريب الآخر، بقدر التأثر والتأثير. واقرأ بأذنك هذا الشعر الذى يروعك سماعه وقراءته، لقوته وبلاغته ومعانيه المنثالة :

فيا صورة الماضي البغيض ، تراجعي

إلى حيث يدعى آثم فيجيب

ذكرت بك الأيام سوداً تلفني

وملء دمي مما أسر لهيب

ومـــا أثقــل الســـاعات فــي نفــرة الكــرى

يـــروح بهـــا ســـاري الـــرُّؤى ويـــؤوب

أثقلـت كـاهل الشـاعر تداعـي الهمـوم علـى نفسـه، لذلك فهو ينفر من رؤى الماضى الكريه، ويدعوهـا.. إلـى التراجع، حتــى لا تكـون مثـل مـن يدعـى إلـى الاثـم فيقـدم عليه. وتلك الصور، مرتبطـة بالايام السود، فتذكـر وتذكـر بها ومعها، وقد كانت تحيط به، وهو فيما يخبـو فـى نفسـه من الاذى لهب يتقد. وإن الساعات ثقـال فـى ذهـاب النـوم عن جفنه، وإن الاحلام تذهب وتجيء بتلك الاصداء الثقال المريرة، التي كانت فى الماضى.. حتى أصبحـت هاجسـاً، وقد فسر الدكتور بكري، معنى نفـرة الكـرى، مـن النفـور، وسارى الرؤى، أحلام الليـالى. ورأيـت أن المشـرف علـى طباعة الديوان تـرك فواصـل (،) فـى نهايـة صـدر بعـض الابيات، وأنا وأثق أنها ليسـت مـن صنعـه، لكـن لا معنـى لها، وكان ينبغى حذفها، وقد وضعتها كما وجدتها.. لأدلـل عليها، مثـل ما هـي فـى البيت الـذي أولـه : " ونحن علـى قرب الديار وبعدها ".

ويقول الشاعر من هذه القصيدة:

قبـــور وأجســـاد تجنبهـــا الـــردى

تولـــول فـــي جنـــح الدجـــى وتلـــوب

وقد فسر الدكتور بكري كلمة – تلوب – فى آخـر هذا البيت.. فقال : تلوب : " تحوم حول الماء عطشاً". وأنا لسـت مطمئنـاً إلـى هـذا التفسيـر، لان معنـى البيـت لا يؤديه، والذي أراه.. أن معنى هـذه الكلمـة هـو – تـدور – وليس للعطش علاقة بمؤدى البيت، وهـو تفسير خـاطيء، ولا يكفي أن معاجم العربية تؤيد ذلك، فهي تؤدى أكثر من معنى لهذه الكلمة نفسها. والمعاجم اللغوية تعين على ذلـك. أنظر كلمةـ لاب ـ ص ـ ٨٤٤ ـ الجزء الثانى مـن المعجـم الوسيـط . وانظـر كـذلك.. كلمـــة – اللـــوب – ، ص – ١٧٣– من "القاموس المحيط". وأنا أعلن أنه ليس بالسـهل التوصل إلى معانى جملة مـن الكلمـات.. فـى شـعر حمـزة شحاتة فى قراءة عجلى عابرة. وقد أشار إلى ذلك الدكتـور بكري شيخ أمين نفسه، فى مقدمته لديوان الشـاعر، ولعلـه لم يحتط لما ألمح إليه، فأخذ يعطى تفسيرات لكلمـات غير

كثيرة، ولكنها غير دقيقة، وربما مرد ذلك السـرعة.. التـي تجنى على الادب.. كما قلت آنفاً، وهذا الرأي منسوب للاستاذ العميد. وترك الدكتور بكـري الكثير من الكلمات التي تحتاج إلـى تفسير.. لتساعد القارىء علـى فهم هذا الشعر، وفيه نصيب غير سهل، وهذا التجاوز، أما أن مرده الابتعاد عن الوقـوع في الخطأ، وأما أن الوقت لم يسعفه، وفى الحالين.. فانه محسوب عليه النقص القائم فى قصور إظهار معانى الكلمات اللغوية، وليس ذلك وظيفة القارىء، وإنما هى وظيفة الدارس.. ومقدم الاثر شعرا أم نثراً. والمتنبى يسمى ذلك ـ " نقص القادرين على التمام " ويسمه – عيباً – ، بل هو من أكبر العيوب عنده. والدكتور بكري ودارسو الادب.. يدركون ذلك.

إن هذه القصيدة – صحوة – التى لا تتجاوز أبياتها الاربعة عشر، كان ينبغى أن يكون نصيبها من الشرح والتفسير ما يوقف القارىء على معطياتها، ولكن الدكتور بكري عامل هذا الديوان معاملة كتاب مدرسي، وحتى الكتاب المدرسي.. يحتاج إلى شرح وتفسير الالفاظ والمعانى، لتعين المدرس والطالب معا. لكن لم يعبأ

صاحبنا بما يجب أن ينهض به لهذا الشعر الجيد الصعب أكثره. وحتى معانى الكلمات.. لم يعبأ من التزم ببيان المعانى أداءها. وهى لا تكلفه إلا جهداً يسيراً، لييسر على قارىء الديوان، وليفيد منه، ويؤدى المشرف واجبه وأمانته. ولعل الله يقيّض لهذا الديوان.. من ينهض بدرسه وشرحه بما يستحق من عمل أدبى ذي قيمة، لان هذا الشعر قيمة. وفى قصيدة صحوة الكثير من المعاني المبهمة.. التي تحتاج إلى كشف ودرس، ومن ذلك بعض الكلمات. فلماذا لم يبين الدكتور بكرى معنى كلمة - لغوب - (مثلا)، وهو التعب والاعياء، فى هذا البيت..

وما هو إلا مأزق الضنك والأسى

وعقباه بأس قاتل ولُغوب

وفي الكتاب العزيز قول الله على لسان أهل الجنة فى سورة فاطر : " الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب ".

وقصيدة - حسبي - ص (٢٧) شعر غزل مطلعها:

حسبي بما حمل الفؤاد وما بقي

كم ذا أصانع في هواك واتقي

والبيت الثاني منها :

وعــــلام تلقـــاني بوجـــه مشـــرق

تخفـــي طلاقتـــه جهامـــة مطـــرق

ورأيـت علـى كلمـــة - مشـــرق - ضمتيــن - ومكانها مـن الاعـراب - كسـرتين - لانهـا صفـة لوجـه. والقصيدة من طراز الشعر الجميل لشاعرنا المجلى. ومنها هذا البيت الذى لـم تعجبنـي فيـه الكلمـــة الاخـيرة وهــي موفق.. لانها قلقة، وليست كلمة شاعرية.. من اختيـارات شاعرنا المتميزة.. والبديعة. والبيت هو :

هــــانت عليــــك مواجعــــي فنســــيتها

أم كنــت فـــي مســـعاك غـــير موفـــق

والشطر الاول ابداع فى شكوى ممضة يبـوح بهـا الشاعر لمخاطبه ؛ والبيـت التـالي قميـن بالشـرح والتـأمل. ولـم أجـد سـوى تفسيـر كلمـــة - تجشـم - . وهـى مهمـة سـهلة. يمكـن أن ينهـض بهـا مصحـح فـى جريـدة ؛ لكـــن معطيات وابعاد معالي الشعر.. هو ما يحتاج إلى أستاذ ذي حس ومعارف لكي يظهـر الجمـال الخفـى ببيـان مشـرق ؛

من إشـراقات العربيـة – الشـاعرة – لان الادب كمـا قلـت من قبل جمال ؛ والعربية ليست كلمات صماء ؛ وهى لغـة البيان الذي قال عنه افصح العرب عليه الصلاة والسـلام : " إن من البيـان لسحراً ".

ولقـــد تجشـــمك الرغـــائب مرتقـــي

صعبـــاً ، فمـــن لـــك أن تكـــون المرتقـــي

يحـدث الشـاعر صاحبـه ؛ بـأن الطموحـات والتطلعات تكلفه ركوب الصعب بدافع رغباته. ثم يتسـاءل أو يسأل الشاعر صاحبه. من يعينك على الارتقاء.. لتصـل إلى ما تصبو إليه ؟ والبيت الذي بعده.. يعلن شـاعرنا أنـه دعا صاحبه للمخاطرة. لكن المخاطب كان هيابـاً، فتـراجع واختار رأي المشفق . والمشـرف لم يبـن للقـارىء معنـى الخطار. ومعنى المشـفق ؛ والثانيـة كلمـة سـهلة وواضحـة وترك كلمة – أجلت – التي جـاءت فـى أول عجزالبيت ؛ وهى أولى بالبيان من المشفق ؛ وتعنى أنه مال واختار فى النهاية.. رأي المشفق فتراجع ؛ والبيت هو :

ولقـــد دعوتـــك للخطـــار فهبتـــه

وأجلـــت فـــي عقبـــاه رأي المشـــفق

والبيت الثاني فى هذا الخطـاب الرائـع بليـغ ؛ ولـم يعن الشـارح إلا بكلمتين : - أسـومكـه والموثـق - الاول بمعنـى ـ الربـط. وتـرك الاخـرى. لانــه لا يـدرس ادبـاً، ولا يعنى بمعان. والشاعر يعلن لصاحبه. بأنه ليس طبعياً أن يدفعه إلى ركوب المخاطر. إذا لم يكن ثمـة دوافـع مـن داخـل نفس المخـاطب - بفتـح الطـاء -. والغرابـة فــى التكليف ما ينبغي أن يمارس ويعمل تلقائياً من الـذي يعنيـه الامـر ؛ لان مـا يؤديـه عـائده عليـه.. ممـا يحقـق الرغبــة والتطلـع إلـى الارتقـاء ؛ غــير أن الـتردد وعـدم الاقبـال حابس. لا يجدي فى المحبوس الـذي اختـار الدعـة وركـن إلى العون لكي يستجيب لمن يوثق فيـه. إنهـا معـان بعيـدة المرامي ؛ فى هذا الشعر الغزير . وكم أتمنى أن تكون لـي قوة وتفرغ.. لاشارك في شرح هذا الشعر الجزل القوي.

ومــــن الغرائـــب أن أســـومكه وهــــل

يرجـــو المعونــــة موثـــق مــــن موثــــق

وانظروا إلى تقابل كلمتين لا يفصـل بينهمـا سـوى حرف جر، وكـل واحـدة منهمـا تـؤدي معنـى مختلفـاً عـن معنى الاخرى. الأولى (مقيد) والأخـرى ذو الوثوق ، الذي يطمئن إلى رأيه وصدقه ونصحه !

ويشـرح المشـرف كلمـات البيـت التـالي بإتقـان، ولا يعجبنـي ذهابـه إلـى معطيـات لا يتطلبهـا بيـت الشـعر وهدف الشاعر، لأن الشارح.. لا ينشيء معجما، أو يعمـل في كتاب مدرسي، وإنما هو أمام شاعر فحل، يقنن كلماته، لانه بليغ اللسان، يعنى بمعانيه والفاظـه معـاً، فهـو قـاريء فلسفة ومنطق، واسع الأفق والثقافة.

فالشارح يفسر كلمة – الفترة – بـ – الضعـف – وهو المعنى.. الذي يهدف اليه الشاعر، ويزيد الشارح بـأن من معانيهـا – المـدة – ، والتفسـير الأخـير لا حاجـة اليـه سوى انه حشو، ثـم إنـه مفهـوم تلقائيـا، لأن الكلمـة جـاري تداولها بين الناس من غير غوص إلى أبعاد قاموسية.

كما شرح معنى – السائم – ، وهـو الذاهـب علـى وجهه من غير هدى. وقد احسن في هذا وأجاد. كما بيـن معنـى – الشيـق – ، وأنـه مـن – المشـتاق – . لكنـي اختلف معه في هذا التفسير، وهو يعنى عنـدي: – الجـانب –. أنظر القاموس المحيط ص " ١١٦١ "، الصـادر عن مؤسسـة الرسـالة فـي بيـروت، بإشـراف – محمـد نعـيم العرقسوس – ويفسر الشارح كلمة – علالة – التي جاءت

في البيت الذي سأثبته هنا، بأنه : ما يتعلل به أو يتلهى، وكنت أود أن يقول : ما يتشاغل به أو يتلهى. ليكون المعنى أدق في معطيات اللغة، لاسيما والكلمات مرادفة، ليكون الجهد أكثر إثماراً.

وتسيء ظني فيك فترة سالم

فتردني عنها علالة شيِّق

ونسأل : مشتاق لمن ولماذا ؟

لكن جانب انشغالي غير محدد هو المعنى الأليق والأقرب والأوفى ؛ وربما الأتم. وأسوق بعض أبيات القصيدة. وأقف.. ما يتاح لي الوقوف عند بعضها.. حسبما يتراءى لي. يقول الشاعر :

وأما وحبك ما الرجاء بمسعدي

إن كان حظي ، منك حظ المخفق

أنكرت فيك الذُلَّ حتى رضتني

فطويت دونك للجهامة مفرقي

وأنا الأبي ، وقد عرفت خلائقي

فاعرف على حبيك بعد تخلقي

مـــاذا فعلـــت بقلـــب حـــــر قـــاده

غـــي الصبابـــة فـــي هـــواك المزلـــق

قـد كنـت قبـــل هـــواك أخطـــر ضاحكـــاً

بفـــؤاد موصـــول المســـرة ، مطلـــــق

متهلـــل القســـمات - يرتفـــق الهـــوى

ســـحري ويحتبـــل المفـــاتن رونقـــي

إلى أن يقول :

والكـــون حولـــك ســـابح فـــي حلمـــه

فـــي مثـــل هالـــة وجهـــك المتـــألق

والحقـــل محتفـــل يطارحـــــه الهـــوى

أســـرار حســـنك ، ضاحكـــاً وتعلقـــي

ويفسر الشارح كلمة - مفرق - ، التـي فـي قافيـة البيت الذي أوله : أنكـرت فيك - ، فقال: المفرق: - هنـا - كنـاية عن الوجه، وأنا لست مع مـا ذهـب إليـه الدكتـور بكـري، فالوجـه لا يطـوى، وإنمـا يـدار، وتغيـر وجهتـه. ولـو قـال الشـاعر - فـادرت - بـدل - فطويـت - .

لسلمت بتفسير د. بكري ؛ لكن الذي أراه هنا هو الوجهة والطريق. أي أن الشاعر القوي الأبي، تذلل وتروض، فدفع أو طوى العبوس وانصاع، وتحول عن كبريائه، وأعرض عن الفوارق، ورام ما كان معرضاً عنه. ويفسر ذلك البيت الذي بعده: وأنا الأبي – .

والأستاذ بكرى فسر معنى – يرتفق والرونق –.. في البيت الذي أوله : متهلل القسمات ؛ وترك كلمة مهمة؛ أهم من – الرونق – ؛ كان ينبغي أن يبين للقاريء معناها، وهي – ويحتبل – . لكن الرجل عجل، وكانه ؛ وأنا أعيد القول، ليس مع شاعر عملاق، ينبغي العناية بقراءة شعره وتفسيره، وأنا أسأل أي قاريء.. دون أن يرجع إلى معجم لغوي. فما معنى يحتبل يا دكتور بكري، وأنت الأستاذ الجامعي، شارح الدروس الأدبية، لغة ومعاني.. وما يتطلب الشرح. وفي المعجم الوسيط، وهو أحد مراجع الدكتور بكري أن المعنى هو: " احتبل الصيد: نصب له الحبالة فاصطاده بها ". أي أن الشاعر قبل أن يقع في الهوى والشراك طليقا ضاحكا، وفؤاده.. سعيد ضاحك، ومتهلل الوجه مبتهج بالهوى، وجمال نفسه يتصيد المفاتن.

وفي ص – ٢٥ – قصيدة غزلة، ونحـن مع قسم الغزل حسب ترتيب الديوان، حيث قدم هذا الباب ليكون البداية، وهو توجه لا اعتراض عليه. امامي قصيدة عنوانها : " أهواك ". ورأيت في كلمة المشرفين إشارة إلى ان الشاعر في كثير من الأحيان.. يختار عناوين لقصائده – كلمة واحدة –، وكأنهما يعترضان على ذلك، وأنا لا أرى حرجاً في صنيع الشاعر، ومن البلاغة هذا الاختصار ؛ مادام يؤدي معنى ؛ وقد رأيت الأستاذ العميد.. حين كان في وقت ما رئيساً لتحرير – جريدة الجمهورية – ، يكتب افتتاحيات سياسية.. عنوانها كلمة واحدة ؛ وأجد ذلك في بعض كتاباته الأدبية، أيام كان رئيسا لتحرير مجلة – الكاتب المصري – الشهرية، فيكتب تلك الافتتاحيات الطوال ؛ وهي دراسة فيها عمق الأديب وفكره الواسع، وتحليقاته البعيدة الغور. وقد نشر قسم كبير من تلك الافتتاحيات الطوال – وهي الدراسات – ؛ في كتابه " ألوان " .

ومطلع أهواك.. من تلك النماذج الجمالية.. في الخطاب الشعري، ينحو فيه شاعرنا منحى السابقين

المجيدين، فشوقي يقول : " أهواه إن حفظ الهوى أو ضيعا " ؛ وشاعرنا يبدأ هواه بقوله :

أهواك تمنحني الرضا ، أو تبخل

أنا في هواك ، القانت المتبتل

فالمخاطب – بكسر الطاء – ، باق في حالي الرضا والغضب، أو على الأدق في حالتي الاقبال والاعراض. وأنى أدرك أن المحب ضعيف، وأن الحب متمرد قوى جبار. ويعلن الشاعر في هذه القصيدة، أنه سئم الحياة وهجر سبلها ؛ غير أنه وقع في أسر الوجه الجميل، ونقرأ ضمنا ما يعنيه معنى حتى – ، ومع الدخول في أسر الحسن، زانت الحياة في عينه، وأصبح لها مذاق ولها معنى ؛ وأصحبت كذلك تستحق أن يتعلق بها، مادام فيها هذا الإبهار الجمالي، فلماذا لاترام وتعشق، من عشق الجمال ومغناه ؟. والشاعر يتحدث عن حاله وكربه، فهو عطش، ولا يلوي على شيء من متسع الحياة وزينتها، ذلك لا يعجبه ما فيها ؛ وعلى الأقل ما حوله، ولكنه حين بدأت العيون، وأنا أعنى التورية، فكان الري.. من ذلك المعين المتدفق، وما أبدع أخيلة الشعراء ورؤاهم

وشفافية تلك النفوس، التي سرعان ما تهفو وتهوى وتحلم، ثم تأخذ في تصوير الحب والجمال، وتنقلب الحياة الكئيبة.. إلى مباهج وجنات معروشات.. في حال الرضا وما يطرأ على نفوس الشعراء من تغيير بدوافع تغيرهم.. وتشغل ألبابهم وكأنها كانت تترقب ما يحل بها، فيتبدل حالها، وتجمل الحياة في عيونهم، لأنهم رأوا ووجدوا ما يشغلهم مما يحلو في نفوسهم. وقل الوجه الآخر الكئيب، إذا انعكست الصورة. وحل بعالم الشاعر ما يبغض ويكره. فتنقلب الحياة رأساً على عقب، وتصبح جحيماً لا يطاق، ومناخ الشاعر.. أو هكذا يرى.. لا يبقى ولا يذر. وتلك قدرة الشعر الجيد، والحديث عن الشعر. حديث عن الشاعر. الذي يمنح من تلك الروافد.. ليصيغ ذلك التعبير البديع. ليطرب ويعجب، ويبقى مع الأيام، لأنه فن رفيع، ولأنه قول بليغ، ذو تأثير على الأذن الذواقة، التي تطرب للجمال، وهي التي وصفها بشار بانها تعشق قبل العين أحياناً. وتغيرت حال الشاعر.. حين رأى الحياة بالمعنى الذي يريد ويعشق. ونسى الماضي وسوء الحال، ونسي ما كان فيه، والانسان ينسى، والنسيان رحمة، وأعني ما يتعلق بآلام الحياة ووعثائها، وقد تبقى الآثار والأصداء.

لكن الهموم تذهب حين يأتي الفرج مع الكرب، واليسر مع العسر، ودعونا نستمع إلى نشيد الشاعر النشوان، فهو أكثر إطراباً، لأنه أكثر جمالاً، لأنه شعر :

طلقت أسباب الحياة وعفتها

حتى استباني وجهك المتهلل

وظمئت لا تروي المباهج مهجتي

حتى بدا من ناظريك المنهل

فنسيت آلام الحياة وبرحها

وغدوت لا أشكو ولا أتململ

وقد بين الدكتور بكري معنى – استباني – أي : أسرني، كما بين معنى – البرح – ، وأنه الشدة والعذاب الشديد. وما أجمل قول الشاعر الطرب النشوان، وقد غادر أزمته ويأسه وبؤسه، وهو شديد الحساسية؛ كما هي حال الكثير من الشعراء الملهمين. إسمعه ينشد الجمال في جمال وبراعة.

رفت معاني الحسن واحتشدت بها

وشدى الهزار بها وغنى البلبل

وتعـــانقت فيهـــا الغصـــون رواقصـــاً

جـــذلاً يعـــبر عـــن هواهـــا الجـــدول

وجـــلا الخيـــال بهـــا روائـــع حســـنه

أخـــــاذة بفنونهـــــا تتسلســـــل

وســـرت بهـــا النسـمات عـــاطرة الشـــذا

الزهـــر يحســـد عليهـــا والمنـــدل

الشـــمس فيهـــا ، مـــا يغيـــب شـــعاعها

والبـــدر فيهـــا ، مشـــرق مـــا يـــأفل

تحنـــو علـــيّ ، وفيّـــة وتنيلنـــي

مـــا ليـــس لـــي مـــن بعـــده متعلـــل

أنـــا منـــك فـــي دنيـــا نعيـــم خـــالد

تفنـــى الرغـــائب ، وهـــو لا يتبـــدل

هيهـــات يســـلبني الزمـــان ســـعادتي

فـــي ظلهـــا ، أو يســـتبين مـــأمل

والحـــب ، إن صـــدق الوفـــاء ســـعادة

يعنـــو الزمـــان لمـــا تريـــد وتكفـــل

لقد تركت بيتاً فيه – مجاز – لم يرق لـــي. وهو قـول الشاعر لمن يهـوى : – وانـت المنعـم المتفضـل –. وهو حديث شاعر.. من الذين يقولون ما لا يفعلون.

والمبالغة التي تتجاوز الحدود لا نسيغها فـي كل صورها، ولو كانت مبالغة شاعر و – مجازية – تادبا مـع المنعم المتفضل.. وهو الله وحده. كما أني لاأسيغ لفظ – الخلود – فالخلود في الدنيا مستحيل، وفـي الآخـرة نعـم.. وسبله في الخير رحمة الله أولاً وآخـراً ؛ ثـم العمـل الـذي يرفع وينفع صاحبه. والسبل الأخرى لمن يستحقها. وحيـن قال لبيد.. الشاعر الجاهلى :

إلا كـــل شـــيء مـــا خـــلا اللـــه بـــاطل

وكـــل نعيـــم لا محالـــة زائـــل

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم.. ما معناه : كذب – يعني – في عجز البيت لأن نعيم الجنة باق. وإنها لمبالغة شاعر، الذي يرى.. أنه من حبه في دنيا نعيم خالد،

وإن ذلك النعيم لا يتبدل، وإن فنت الرغائب، وهذا محال، وليس أكثر من خيال شاعر متدفق، ولأنه نشوان، فهو غير مقيد بحدود ما يلفظ ويقول، وكذلك قوله: هيهات يسلبني الزمان سعادتي. والشاعر يدرك معنى قول الحق: وتلك الايام نداولها بين الناس.

فلا شيء يدوم على حاله. ونحن نقول في الأمثال : " دوام الحال من المحال ". ولم يعجبني كلمة - تتسلسل -. لأنها جاءت لتكمل البيت وتسد القافية. والقصيدة جمعت بين الجمال وروعة النظم، وبين التجاوزات التي أشرت اليها. ولم يفسر الدكتور شيخ أمين.. في البيت الأخير كلمة - يعنو - الزمان، ليدركها القاريء، ومعناها في القاموس : خضع وذل - ، وفي الكتاب العزيز.. قول الحق في سورة طه : وعنت الوجوه للحي القيوم، وقد خاب من حمل ظلما ".

(٨)

ولا أطيل الوقوف أمام هذا الشعر.. الذي يحمل

أحلام الشاعر، ولست أقول غير أحلام عابرة، أملتها لحظات.. تشبه الحلم، فرأى شاعر أن الدنيا بين يديه، وأنه في سعادة غامرة.. لا حدود لها ولا نهاية، وليس بمسطاع أن يقال له، وأن يفاجأ بأن ما يخاطب به من نعيم خالد في تصوره، وانه لا يتغير.. وأن ذهبت الرغائب وذأبت، وأن الزمان الدوار، بعد أن يأخذ منه سعادته، ولا تأثير له عليه، ولا تستطيع الأيام الذهاب بأماله وماهو فيه من نعيم، ولكنها أوهام شاعر، كان يحلم، والحلم يتخيل فيه أمان، قد تكون حقا، وإلا فإن الانسان قد عاشها رغداً في الحلم الجميل.

ولست أريد أن أطيل الوقفة مع شاعرنا في هذه القصيدة التي يبث فيها الهوى، والهوى غلاب كما يقولون، وأمامي قصيدة.. عنوانها : " مناجاة "، وكأنها صحوة بعد ذلك الحلم الجميل، وأنا اربط بين القصيدتين في المجاورة وتناقض الحال، وشتان ما بينهما، أين السعادة.. وإن كانت وهمية، لكنها على كل حال أحلام معسولة جميلة، وردية أو بنفسجية.. ليس مهما، ذلك أنها فرحة ورؤى وشوق .؟

أما القصيدة الأخرى.. فهي شجن وشكوى وآلام.

وهكذا الحياة قلب ومتغيرات وهموم، لأنها تعب.. كما قال شيخ المعرة، وكبد كما صورها الكتاب العزيز. ودعونا نستمع إلى صوت الشاعر في شكواه :

هيهات لا أمل أجرى ولا لهف
وهل يفيدك في عقبى المنى أسف
ما لا تبلغك الأفعال جاهدة
فكيف تضمنه الآمال والصدف
قلبي ! وهل كنت يوم تحملني
على أمانيك يحدو زورها المسرف
غررت بي فأضعت الحزم مندفعاً
على ضياء خيال تحته السدف
كانت سويعة ري بعدها ظمأ
وعدل يوم تناهى بعده الجنف

هنا شاعر واقعي.. يعيش الحياة غير حالم، فلم تفد الآمال، وإذا لم تجد، فلا يجدي الأسف.. بعد ذهاب الأماني، وإذا كانت الأفعال بمعطياتها لا توصل إلى

الرغائب، فهل الصدف والآمال تحققها ؟. وأماني النفس.. التي يصف الشاعر أن قلبه دفع به إلى أمانيه، التي يحرك هواها إسراف، وكانت الحصيلة من هذا التغرير، أن الشاعر أضاع الحزم، وهو ماض على ضوء خيال، تحته ظلام، وهذا الخيال شُبه بري، أعقبه ظمأ، وكأنه يوم شع.. كان ثم العدل والرضا، لكن سرعان ما تبعه ظلم.

إن هذا القصيدة تتطلب وقفة أطول، لأن فيها معاني من تحليقات الشاعر المتأمل في الحياة وما فيها، بخياله وآماله وأشجانه وأحلامه. وأرى الدكتور بكري.. يفسر كلمة في بيت ويترك أخرى، وقد تكون التي ترك أهم مما عنى بتفسيره، وقد تكون مافسر.. ليس في حاجة إلى بيان، لأنه من الوضوح ما يغني عن البيان.. والشاعر يقول :

فاحمل على تبعات الجهل ما

تركت لك البوادر ، فالأيام تنتصف

ففسر البوادر، وترك كلمة – تنتصف – لأنه عجل، يريد أن ينتهي مما التزم بانجازه، ولكن.. كيفما

ومعنى – تنتصف – ، أى – تبدل – . والقاريء.. الذي يعطيه الشارح والمشرف والمفسر نصف المعنى.. يتركه في حيرة، لأنه لم يكمل عمله، ومثل هذا الشعر المتين لا يُدرك كثيره.. إلا باخراج معانى الكلمات، وهو الهدف الذي ينبغي أن يعنى به.!

إن قصيدة – مناجاة – غزيرة المعاني والمعطيات، فهى في حاجة إلى وقفة.. تؤدي إلى الالمام بها، ولاسيما وهي قصيدة تبلغ أبياتها "٤٠" أربعين بيتاً. فلا تكفيها وقفة عابرة مع بعض ابياتها وكلماتها، لانها قصيدة فيها شجن، والشاعر يعاتب قلبه ويؤنبه، لأن هذا القلب جرفه الهوى، فجر على صاحبه العناء والنكال والالم والحزن، والقلب عاطفة، تنساق بلا قيد.. ولا حساب للعواقب، وهو سريع التأثير بما يحس ويرى إن صح هذا التعبير، والرؤية التى أعنيها.. لإحساس يعتمل في النفس، فتعمق فى الفؤاد، فيكون ذلك التأثر.. عن غير تأمل أو وزن لما سيكون من ردود الفعل والجحود والنكران، ولنستمع إلى الشاعر فى شكواه وتبرمه.. مما ناله وأدرك من اندفاع قلبه الذى قاده إلى العناء والهجر.!

قلبـي ! ومـا كنـت قلبـي يـوم ودعنـي

لـم يثنـه الدمـع عمـا رام واللهـف

هـل استبنت معـاني الغـدر ترسـلها

عينـاه ، أم كنـت فـي روع النـوى تجـف

غرتـك دمعتـه الحـيرى يكفكفهـا

ودون مـا ضمنتـه الغـدر والصَّلـف

وراح ! تـأمل فـي عقبـى نـواه لقـى

وعدتـه ، فقضـاه الهجـر والخلـف

وعـاد ! هـل عـاد مـن يثنيـه رونقـه

عـن الوفـاء وخـوف العـذل والـترف

وبيّـن الشـارح معـانى : اللهـف، والصلـف: وهـو التكبر والغطرسة. وترك الباقى، ومنـه: نـواه - تـأمل فـى عقبى نواه، أي بعده. وأن أداء الوعـد وهـو القضـاء، إنمـا ذلك الهجر وخلف الوعد، ويشكك الشاعر في العـودة، لان البهاء يثنى صاحبه، فهو صـلف وكبريـاء، وربمـا العـود.. من خوف اللوم، لكنه فى ترف، وهو البطر، وإنـه الشـىء مذموم. وما أحرى مثل هذا الشعر أن يجد من العناية.. ما يقربـه إلـى القـارىء العربـي، ليسـتمتع بقراءتـه وإدراك مراميه ورؤاه وعمقه وجماله وقوة بنائه وسبكه.

ويمضى الشاعر فى لوم قلبه وعتبه بهذا الخطاب المنساب الرائق، لاننا أمام شعر رائع قوى.. لشاعر ملهم، مجنح الخيال خفّاق الفؤاد، كثير المفردات اللغوية .. غير " الحوشية "، من المهجور الذى لا يعنى به إلا دارسو اللغة وجذورها. أما لغة شاعرنا.. فهى قوية متينة جزلة، ولكنها ليست من الغريب الثقيل، الذى يشجيك البحث عن معانيه ومدلولاته ؛ وحتى النطق بألفاظها صعب وعسير، وتظل من العربية معاني وعمقا وجذوراً وبنية، يقول شاعرنا :

علام تخفق والأيام ساكنة

وفيم تأمل والمرجوٌ منصرف

أعاد ؟ ما عاد تلهيه صحبته

عمن يساوره في حبه التلف

حرمت منه على قرب ولو بعدت

به الديار أنالت وصله الصحف

ظمآن يحرقني شوقي ويعصف بي

يأسى ، ومورد نفسي حافل كاشف

أراه حيـــن يرانـــي مطرقـــاً حزنـــاً

كمـــن يغالبـــه عـــن شـــأنه الـــرأف

مـا أطلب الحب عفـواً ، أعطنيـه هـوى

فمـــا يـــبرد حـــر الظـــامىء الرشـــف

إنـه شـعر متسق سـائغ، يقـرأ ويـردد فـى متعـة ونشوى. وقد أطربنى وأنا أقرؤه مرتيـن، الاولـى للـدرس، والثانية للكتابة.. وتتبع المعاني، وهذا الشعر القوى الجزل، يحتـاج الـى أنـاة وتـرداد قــراءة.. للوصـول إلـى معانيـه ومراميه.

وأنا أسأل الصديق الدكتور بكري شـيخ أميـن، لـو كان يدرس هذا الشعر لطلابه فى الجامعة.. أفلا يروغ إلى شـرح معانيـه ومبانيـه لهـم.. ليفهمـوه ويهضمـوه ليحبـوه؟. وإذا التمست لصاحبى العـذر، بأنـه لم يطلـب إليـه الشـرح والبيان، فما أحره، وهو الدارس الاكاديمى أن يـؤدي الحـد الادنـى، وإلا فهـو حقيـق أن يرفـض أداء عمـل نـاقص.. أقسر على ـ لملمة ـ تخل بالشعر الجيـد، وتقصـر فـى أداء الواجب، والنقد لايجامل ولا يهادن، ولا يداجي ولا يدلـس،

وأعنى النقد الحقيقى، لانه بعيد عن العاطفة، ذلك أن مرجعه العقل والفكر.

إن شاعرنا فى هذه الابيات.. فى مناجاته مع قلبه، يسبح ويحلق، ويحاور نفسه، في خطابه إلى فؤاده ؛ ولم أر ردوداً ولا أجوبة.. للمخاطب - بفتح - الطاء -. وإنما الشاعر يصور حاله والمتحدث عنه، وإنه.. يشرق ويغرب، ويضرب الامثال، ويتحدث عن الغدر والوفاء والمثل، يصور حاله وحزنه ويأسف، عن ماض.. ذهب بجماله ولهوه، استمتع فيه الشاعر بالوفاء والود، ومن خلال هذا الخطاب ؛ نراه تارة فيه لين وهينة، وأخرى.. يشتط ويقسو، حال المحبين، رضا وخصام، وهو من دأب الحياة وما يكتنف حياة الناس، وامزجة المحبين، وبين الوصل والهجر مدى بعيد، وسبح طويل، يصوره التعبير.. شعرا ونثرا، فيه تأثير الحال التى تكتنف المحب والمحب.

وأعتقد أن الابيات الآنفة.. ليست فى حاجة إلى بيان، فهي تعرب عن معطياتها ومعانيها. والمحبوب آثر البعد، لان القرب لا يريده، والمحب.. يلاقى العناء والتلف من ذلك المرض.. الذى اسمه الحب، وقد حرم من القرب،

أما فى البعد، فالسبيل هو الصحائف البريدية، التي تنقل الشوق والارق والشجن، وما ينتاب الفؤاد من ضنى وعذاب وقلق، وما يؤرق النفس من ذل وضعف وحزن، يحرقها الشوق واللوعة والحرمان !

وحال الشاعر حافل بالاسى والشوق الممض، مثقلة بما هو فيه، وحاله مكشوفه، لانه يفضى بما فى نفسه ويعلن ما فيها، كأنه تنفيس، وليس له أكثر من ذلك.. مادام فى حرمان، وهاهو يدندن أو يشجى بهذا الشعر النابض. وأن صاحبه.. حين يرى حال حزنه، يبدو وكأنه يرأف لحاله. لكن الشاعر أبي، لا يرضيه الحب الصورى، رأفة بحاله وشفقة على بائس يائس، ولكنه يريده هوى حقيقيا، فالعطف المتكلف يشبه الرشح، الذى لا يملأ قربا، ونفس الشاعر الحرى الظامئة، لا يطفىء لظاها.. الرشف والرشح، فذلك قد يزيد ظمأه، وإنما هو يريد ريّاً.. غدقا، يذهب الحرور واللهب الذى يتقد فى داخله، ثم يمضى فى القول :

وآهاً لماضٍ ، أنيق اللهو كنت به

إلى وفائك ، بالآمال اختلف

يجـري الحديـث رمـوزاً .. بيـن أعيننـــا

يليـــن مســــراه ، تــــارات ويعتســــف

واليـوم يثنيـك عـن داري ، وقـد قربـت

ما لفق الصحـب عن سري ومـا اقـترفوا

سـاموك هجـريّ عـن كـره ، وقـد جهلـوا

مـــا يعلـم الظهـر عـن حبيـك والشـــرف

وأطلقـــوا التهـــم الشـــنعاء يصرفنـــي

عنهـا ، وعـن دحضهـــا الايمـان والانــف

ولم يبين للقارىء الدكتور بكرى معنـى – اختلـف – ، وهي ليست من خلاف، وإنما هي من التتابع والترداد، وشوقى يقول:

اختــــلاف النهــــار والليــــل ينســــي

ذكـــرا لـــــي الصبـــا وأيـــام أنســـي

وبمناسبة هذا البيت لاحمد شوقى، رأيت ان بعض البنيويين.. يعبثون بالادب، ويسيئون إليه بفهم سقيم، وكأنهم يخترعون مركبة فضائية.. يصعدون بها إلى الســماء،

وانهم يأتون بجديد مبتكر، لم يسبقوا إليه، ويعيدون مقولة أبي العلاء :

أنا وإن كنت الاخير زمانه

لآت بما لم تستطعه الأوائل

وأبو العلاء قد ندم وتراجع حين أعجزه الغلام الذي انتقد هذا القول.. كما يروى ! وأين أديب اليوم من أبى العلاء ؟ لشتان ما بينهما !

(٩)

أفسد بعض البنويين الأدب وجماله وبهاءه.. بذلك العبث والتفاهة والسخف، من ذلك الوقوف الطويل.. الذي لا غنىً فيه ولا خير. وقد وقف كمال أبو ديب.. في مقال له نشرته مجلة فصول في الجزء الأول.. عن شوقي وحافظ .. لشهور : أكتوبر . نوفمبر . ديسمبر ، سنة (١٩٨٢) ، ص (٩٨) وعنوان البحث : " شوقي والذاكرة

الشعرية " . وقف أبو ديب عند بيت شوقي ، الذي هو مطلع قصيدة معارضة لقصيدة البحتري.. التي أولها :

صنت نفسي عمّا يدنّس نفسي

وترفّعت عن جدى كلّ جبس

أما مطلع قصيدة شوقي فهو :

اختلاف النهار والليل ينسي

أذكرا لي الصبا وأيام أنسي

راح أبو ديب .. يمغرّب ويشرّق ، نازلاً إلى أعماق قريبة الغور، في ضحالة وتفاهة فهم.. وتناول لا معنى ولا مذاق له، في معنى " اختلاف النهار والليل". فتحدث عن الاختلاف.. بلغة لا صلة لها بما ذهب إليه الشاعر، وما يؤديه المعنى المباشر لتلك الكلمة، وهو تعاقب – الليل والنهار – فقط ، وليس ثمة معنى آخر.. يُمكن أن يؤتى به.. لما يحمله معنى بيت شوقي ، ويمكن أن يجنح إليه أي زاعم أو أي عبقري.. سوى ما تؤديه لفظة – اختلاف – ، أي ـ تعاقب – وإذا افترض من هذا التخريج الهلامي.. لرجل ينتسب إلى البنيوية..، حتى

لـو قـال الشـاعر أحمـد شـوقي أو غـيره عـن تعـاقب الليـل والنهـار.. ودوران الفلـك ، لذهـب أبـو ديـب.. ومـن علـى شاكلته ، في تهويمـات وطلاسـم.. تتجـاوز العبـث، بعقليـة القارىء العربي، لأنه مسخ لفكر غربي.. الذي يكتب بلغته الشاطحـون، فيذهبـون إلـى تخريجـات بهلوانيـة.. لامعنـى لهـا، ولا يقبلهـا عقـل واع بصـير. وهـذه الشـطحات – فوضوية – يتقرب بهـا أصحابهـا إلـى الغـرب الـذي ينكـر على العربية ديمومتها ، ويريدها أن تندثـر.. كمـا اندثـرت لغات أخرى قامت ثم غابت، وذلـك لكـي ينـال هـؤلاء مـن حاصدي الشـوك فـي " معلـف " الغـرب مـن أجـل حظـوة، لاتزيد عن استظلال.. لنيل فتات مـن دخـل وظيفـة، باسـم الأدب العربي، لكي ينهضـوا بتقويضـه، بتلـك الممارسـات الهلاميـة، والتشـكيك فـي قـدرات الأدب العربـي علـى الانتشـار، والهدف هو محاربة العربية للنيل مـن جذورهـا وقدراتهـا، فهـم يحصـدون الهشـيم.. ليعلفـوا الحيوانـات السـاربة. إن هـذا العبـث يسـىء إلـى المجددين مـن النقـاد والدارسـين.. ذوي البـاع الطويـل فـي التـأمل وآلياتـه، والسياحات الواعية الراكزة المنطقية، وحـق لقارىء واع..

أن يرفض التجديد في النقد، حين يقرأ هذه البهلوانية.. باسم الفكر والمعرفة، ونحن على مشارف القرن الحادي والعشرين، من بعض من يتصدر النقد.. عبر معارف غربية وعربية، ومدارس النقد القديم والحديث وتياراته الجادة والعابثة معاً، وتلك الممارسات المضطربة.. باسم التأويل واستنطاق الألفاظ ومدلولاتها.. هو ما يسمى باعتساف النصوص، وهو ضرب من الجناية في الافهام، ومنها الفهم السقيم من هذا التشدّق.

ونعود إلى شاعرنا حمزة شحاتة فنجده آخذاً.. في وصف الواشين المبغضين، الصاخبين.. الذين يحاولون الابعاد بين الصاحبين ، ويكيدون ويدسون، حتى يصدّوا الصاحب عن صاحبه ، فيترك ذلك الصدود والانصراف آلاماً مبرّحة.. تتجاوز الوصف ، ويشبهها الشاعر بالبركان الثائر.. يعتمل في نفسه ، فينسف أمانيها المتقدة وتذهب هباء وتغور.

ولا يدري فيما حوله .. في دنياه شيئاً واضحاً ، وإنما هي رؤى مفزعة تظهر تارة وتغيب أخرى ، ويرسل طرفه ، فيحار في ليل يختفي فيه الإبصار ، ودعونا

نستمع إلى الشاعر .. في هذا الترديد الرائع ، لأنه يمتح من ذات نفسه ، لا يتكلف ما يقول وينظم، وإنما هو يترك لسانه.. ليترجم ما يعتمل في داخله ، من توقد.. شبهه بالبركان المتفجر، الذي لا يبقي ولا يذر ، يقول :

كان في النفس بركاناً يثور بها
يطوي أمانيها الحرّى فتنخسف

فالكون حولي مطموس تراوده
رؤى المفازع تستخفي وتنكشف

إذا تنورّت في ظلمائها طرفاً
غام الدجى فتوارى ذلك الطرف

اسأل صاحبتك الجانين كم لعبت
بهم دواعي الهوى والحسن والهيف

لقد عرفت نبيل الحب تكلأه
فضائل الخلق السامي ، فهل عرفوا

أدعوك دعوة مشبوب على ظمإ
فليفعل الجود إن لم يفعل الشغف

ورغم أن د. بكري شرح بعض معاني كلمات .. في أبيات لم آت عليها ، إلا أنه ترك – كالعادة – مثل كلمة برح – في قول الشاعر :

بي منهمو فيك ، لا كانت أواصرهم

ومن صدودك بَرْحٌ فوق ما أصف

ولم يفسر معنى لكلمة – الهيف – ، وهو دقة الخصر ، كما لم يفسر معنى كلمة – أواصرهم ، وهي العهود .

وقصيدة " صغيرتي " ، لا أطيل عندها الوقوف ، فهي ضرب من الدعب ، بين الشاعر وتلك الصغيرة ، ولن أبحث عنها وشأنها وعلاقتها بالشاعر ، فالقصيدة.. لا تعطي المزيد من الايضاح عن شأن هذه الصغيرة التي يخاطبها الشاعر ، وأخذ من صفة سنها.. عنوان قصيدته ، فأنا لا أرجم بالغيب ، وحسبي أن أنقل مطلعها.. وأبياتاً أتخيرها ، ولاسيما الأربعة الأخيرة منها ، فالشاعر يلاعب هذه الصغيرة، وهي قد تكون شيئا ما في حياته ، ومطلع القصيدة هو :

حدقـــي فـــيّ عابســـاً أو طروبـــاً

لا تراعـــي لظـــاهري أو تُســـري

لــك منـــي صـــدر رحيـــب ، وإن ضـــا

ق بمـــا فـــي الحيـــاة ذرعـــاً ، فقـــرِّي

ويمضـي الشـاعر فـي القـول .. مـن قصيدتـه " صغيرتي " :

اذكـــري ذلـــك الشـــقي اذكريـــه

فلقـــد كـــان يرتجيـــك لأمـــر

ســـوف أحيـــا ، نعـــم ، ولكـــن حيـــاة

تتهـــاوى بهـــا عوامـــل قهـــري

وســـأبقى معذبـــاً مفعـــم القلـــ

ـــب شـــجوناً واســـتعين بصـــبري

قانعـــاً مـــن أليـــم عيشـــي بالذكـــ

ـــرى أداوي مريرهـــا بـــالأمرَ

فــإذا مـــا ســـمعت يومـــاً بموتـــي

فـــاتبعيني إلـــى ســـحيق مقـــرّي

واذرفـــي دمعـــة علـــى جســـدي الهـــا

مـــد ، تنـــدى لهـــا جوانـــب قـــبري

وتناســـــي نهـــايتي ، اهمليهـــــا

فهـــي لا تســـتحقُ لفتـــة فكـــر

ورغـم أن هـذه القصيـدة فـي بـاب الغـزل ، إلا أن الحزن يخيم عليها، فهي خطاب كنماذج هذا الشعر.. الـذي يمثل أكثر حياة الشاعر وشكواه وآلامه وأحزانـه ، فـأكثره شـعر تـأمل وحرمـان ، وحيـاة يكتنفهـا الكثير مـن العسـر والشجن واليأس .

وأجد أمامي قصيدة من تسعة أبيات عــن – وج – أو وادي وج بالطـائف ، ومطلعهـا لطيـف جـذاب ، حيـث يقول الشاعر :

إن وجـــا ، وســـامح اللـــه وجـــا

لـــم يـــدع لـــي ، إلـــى الســـلامة نهجـــا

ومن قراءة هذه القصيدة .. يدرك قارؤها أنها نظمت بعد زمن من زيارة الشاعر لهذا الوادي أو للطائف، فهو يتحسر على الماضي ويشكو حاله ، ويشجي مما حل به.. وآل إليه ، في الذكريات المواضي بألم وحزن ، ولكن ليس له من الأمر شيء ؛ فاسمعه يردد :

كان ليلي به مسيلاً من النو

و يغشى جوانب العيش وهجا

فأنا اليوم بعده في ظلام

أنتحيه وعراً ، وأطويه لجا

بين قيدين ، بين ضيق وعجز

كلما قرت الموجع لجا

وانظر إلى هذا الجناس المتفق لفظا ، والمختلف معنى ، بين : اطويه لجا ـ بضم اللام ، – والموجع لجا – ، بفتح اللام. وكم كنت أتمنى من أستاذ الأدب بكري شيخ أمين ، ألا يعبر بهذا الشعر معبر المتعجل والمتجاهل لقيمته ، كم تمنيت لو أنه توقف عند بعض المعاني والجناس والمقولات الرائعة في هذا النظم المتميز الرائق

والراقي معاً، ولكنه لم يفعل، لأنه رجل عجل، وربما طلب إليه ذلك، فالمهم أن يصدر ديوان الشاعر، دون رؤية له.. وتوقف بصير يجلي تلك المعاني المتوهجة العالية ، فهذه هي الحال من العناية.. التي ينبغي أن تؤدي للشعر الجيد القوي ، فالأدب بألوانه وأشكاله تأمل ومعان.. ورؤية جمالية ، وليس تراكمات لا يعبأ بها، كأنها كيل أو وزن.. كأي سلعة ينالها العرض والطلب والإعراض !

ومعنى كلمة لج الأولى المضمومة اللام ، شدة الظلام . وفي التنزيل " أو كظلمات في بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض ". ولج الثانية - المفتوحة اللام - ، لج في الأمر .. لازمه وأبى أن ينصرف عنه . قال تعالى : " ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضرٍّ للجوا في طغيانهم يعمهون " .

والبحتري يقول :

لي حبيب قد لج في الهجر جدا

وأعاد الصدودَ منه وأبدى

ذو فنــــون يريـــك فـــي كـــل يـــوم

خُلُقـــاً مـــن جفائـــه مســـــتجدا

اغتـــدى راضيـــاً وقـــد بـــت غضبـــا

ن وأمســـى مولـــى وأصبـــح عبـــدا

ويمضـي الشـــاعر فـي الحديـث إلـى بطـاح وج ورماله، في نبرات شاكية موجعة :

يـــا رمـــال الـــوادي الجديـــــ

ـب تناسيت طويلاً هذا العليلَ المسجّى

أطلقـــت ذكرياتُـــه دمـــعَ عينـــي

بـــالذي ســـرّ فـــي هـــواك وأشـــجى

أتُرانـــي إليـــك أســـتقبل الفجـــــ

ـــر مـــلاذاً بعدويتـــك ومَنْجَـــى

كـــذب العيـــش بعـــد يومـــك يـــا وجُّ

مريـــراً ، والعصـــر بعـــدك فِجّـــا

وحمزة شحاتة.. يستحق التأمل في أدبه شعراً ونثراً ، وشخصيته وإباؤه ، وشعره الذي ضاع أكثره ، ساهم الشاعر نفسه في ذلك ، وقد ألمحت آنفا ، إلى أن مرد ذلك اليأس ، فلم يُبقِ أدبه ، لأنه قدر أنه غير مقدّر ، وشخصيته الطاغية في قوتها وشممها ، وحين لم تنل نصيبها من الرفعة والتقدير والعناية ، تقديراً لفكره ونبوغه وعبقريته . أعرض عن الناس والحياة ، وأحرق شعره ومزقه شر ممزق؛ بل أقول اعتزل الحياة والأحياء.

كنت أرجو أن يكتب الأستاذ الجامعي الدكتور بكري مقدمة لديوان هذا الشاعر الذي يندرج في زمرة الشعراء المتميزين حديثاً وقديماً، ويشرح الدكتور بكري الغامض من الألفاظ.. كما صنع الأستاذ كامل الكيلاني مع ديواني " ابن رومي، وابن زيدون " وكما فعل غيره، من دارسي ومحققي نتاج الشعراء الفحول، والدارسون.. يعرفون ما قام به أولئك الرجال في إخراج دواوين الشعر، وكتب النثر، بذلك الجهد المتميز. والدكتور بكري.. سبق له أن كتب عن الأدب في المملكة العربية السعودية، وهو رجل.. أكبر الظن أنه يشرف

علـى - الأطروحـات - ، ويوجـه طلابـه إلــى المصــادر
واستكمال البحوث.. والدقة في تتبــع المراجع والمصــادر،
وهـو يـدرك أن أمامـه لجنـة فحـص وتدقيـق وامتحـان مـع
الطالب.. ووراءه المشرف. من هذا الحرص ومنطقه، كان
ينبغي أن يكون نصيب ديوان الشاعر الكبير عـند الدكتور
بكـري النصــيب الأوفـى، عنايـة تدقيـق ودرسـاً وشرحــاً
وأداءً وتكامـــلاً، لا تــلك السـرعـــة المخلّـــة ، والنقـــص
البيــّن، فليـس هـذا مــا يسـتحق الأدب الحــي النــابض،
والشعر خاصة، والدكتور بكـري.. كُلّـف بالاشـراف علـى
ديوان الشاعر، ومتطلبات هذا الاشراف الـذي يدركهـا هـو
والدارســون الواعـون الحـراص.. علـى اخـراج أعمـــالهم
متكاملة الأداء، هذا الواجب.. لم يؤد كما ينبغي.

والمشرفان الموكل إليهما اخراج الديوان بما يليـق
به ، وهما محمد علي مغربي وعبدالمجيد شبكشــي ، رميـا
الحمل على بكري شيخ أمين ، وكأنهما أديا واجب ما وُكل
إليهما .!

والرجل لم يبذل جهدا يذكر .. فــي شـرح وتفسـير
معـاني الكلمـات اللغويـة ، ومدلـول القصـائد ، كمـا يصنــع

الشـــراح .. فـــي إخــراج الدواويــن وتحقيقهـــا ، وشـــرح غامضهـا، وتوضيـح معانيهـا ، ومرامـي القصيـد ، وعمـل مقارنات في التشابه مع اشعار الآخرين ، ويحضرنـي فـي هذه المناسبة قول من لاينطـق عـن الهـوى .. صلـى اللـه عليه وسلم : " إن الله يحب من أحدكـم إذا عمـل عمـلاً أن يتقنه " . فهل أتقن طباعة واخراج ديوان حمزة شحاتة ؟.. سنرى !!

وفـي قصيـدة : " لـولا " يقـول شـاعرنا فـي هـذا الحديـث والخطـاب الـذي يصـور الحيـاة ومسـاراتها ، واضطـراب الانسـان فيهـا، وهـو كـادح ، والـذي لا ريـب فيه.. أن هذا الشعر له أهداف في بنائية المعـاني، وبألفـاظ تتسق والمعاني ، لتـؤدي معـاً.. هـذه التراكيب الجماليـة ، التـي تعجـب وتطـرب ، لأن الشـعر الجيـد فـن رفيـع ، والبلاغـة البيانية.. تضفي عليه هـذه الروعـة التـي نجدهـا ونحـن نقـرؤه أو نسـتمع إليـه من قـارىء يحسـن قـراءة الشعر، فنطرب .. لهذا الجمال الأخاذ المتموج ، ذلـك أنـه سحر بيان :

لـــولا تكـــون علـــى الخطـــار معنّفـــي

لركبـــت فيـــك ضلالـــة المســـتهدف

وقضيـــت للشـــوق القديـــم لبانـــة

راض الزمـــان لهـــا جمـــاح المخلـــف

فالشـاعر فـي هـذا الخطـاب يخشـى عقـاب ومـآخذ المخاطرة، وهو يندفع نحو هدفه ورغابه ، وقضــاء حاجـة ذلك الشوق القديم ؛ وكأني به يجدد معنى قـول القائل:

وذو الشـــوق القديـــم وإن تعـــزّى

مشـــوق حيـــن يلقـــى العاشـــقينا

وتلك الحاجة من الشوق ، ذلل الزمان عتو مخلـف الوعد . ويتساءل الشـاعر.. لمـاذا ذو الغيـظ يعـامل فـؤاد الشـاعر بـأكثر لظـى فـي هـواه ، وأن الحسـن فـي طوايـاه هوى، وهواؤه .. بين قوة معاناة وتلطف مشاعر نحـو مـن يحبـون ، لأنهـم مكرهـون أن يكونـوا كذلـك ، ويصـور الشاعر الحياة بأنها نهـب غير عـادل .. مـن يمـارس هـذا المسلك غـير السـوى ، ويقـابل تلـك الصـورة الجامعـة المطلب، لذي رغبة.. ولكنـه عفيـف ، والشـيء نفسـه فـي الحب لذي تلطف سائرٍ في سبله ، بينما الجد قفـزة متوجـه ملـتزم بـلا رويـة ، ولـم يعـن شـارح الديـوان إلا بمعـاني

كلمات أربع، وترك الباقي.. ربما لفطنة القارىء ، أو ليبحث القارىء نفسه في القواميس عما يريده الشاعر ويهدف إليه ! يقول شاعرنا :

فعلام يأخذ ذو العقيل فؤاده

بأحرّ من لاظى هواه ، وأعنف

والحسن مطوي الشعور على هوى

عشاقه في قسوة ، وتلطف

والعيش نهبة ناهب متحيّفٍ

كالعيش مطلب راغب متعفف

إنها مقابلة جميلة ، ويذكرني هذا المعنى بقول المتنبي :

وتعظم في عين الصغير صغارها

وتصغر في عين العظيم العظائم

وقوله :

فطعم الموت في أمر حقير

كطعم الموت في أمر عظيم

وبقية هذه القصيدة القصيرة :

والجدُّ وثبة غارم متعسّفٍ

كالحب حيلة سالك متلطف

جهد النفوس فمن حَمَى بقطوبه

حقاً ، تحقّر بسمة المتزلّف

صحيح.. إن النفوس الكبار أو الجادة ، بمسلكها في حمى حقها.. تزدري تكلف المتزلف ببسمته - الصفراء - كما يصفونها ، لانه رام الذل والضعف فاستحق أن يهمل ولا يعبأ له.

ومازلنا في الحب والغزل.. في هذا الباب ، أو الجزء الأول ؛ وكذلك بشجنه، الذي يمثل دافق النفس ولهبها وشكواها ، وعسرها في حياة الهوى ، والهوى غال، وحين يرخص ، فإنه لايعنى به ، ولا يلتفت إليه ، لأنه يصبح ابتذالا وعبثا من العبث.. الذي لا قيمة له ، ولا خير فيه، والمتنبي يردد في قوة ارادة وقوة نفس وكبرياء وشموخ :

والهجر اقتل لي مما أصادفه

أنا الغريق فما خوفي من البلل

يقول شاعرنا حمزة شحاتة في قصيدة معاناة، وحياته كلها معاناة .! وكأنه في مطلع هذه القصيدة، يلتقي مع أبي الطيب في قوله :

أرق على أرق ومثلي يأرق

وجوىً يزيد وعبرةٌ تترقرقُ

يقول الأستاذ شحاتة :

رادته في الحب عُقبى أمره رهقا

عان بجنبيَ يهفو ثائراً قلقاً

يظل إن ذكر الماضي وفتنته

غصّان راحته أن يلفظ الرمقا

تحيي خيالات ماضيه له صوراً

ماتت وخلّفت الألامَ والحُرقا

ورب ذكرى أذاقت نفس باعثها

ويلا يُزلزل عزم الجَلد والخلقا

يــا قلـــب غــرّك مــن مـــاضيك رونقـــه

وأن حظــــك فيـــه كــــان مؤتلقــــــا

وأن مســــرح لـــذّات الهــــوى شَــرْعٌ

حـوى الحيــاة مــدىً ضـم الهـوى افقــا

وأن جدولـــــك السلســــــال مطَـــرد

علـــى حفافيّـــه ينمـــو الزهـــر مُتّســـقا

بلقـــاك بـــالوِرد طلقـــاً مـــن مناهلـــه

وبالمفـــاتن يســـبي ســـحرها الحدقــــا

رفَّـــت عليـــه معـــاني الحســـن ســـافرة

فـــاقت بمـــا ذاب مـــن ألوانهـــا الشـــفقا

خطاب الشاعر عن المعاناة ، في وصـف مريـر ، فكان الرهق كمحصلة لذاك الحب ، وهو تعب ملتصـق بـه طافقا في ثورة وقلق حتى إنه حين يرجع إلى آرائه العابرة متأملاً في تلك الروعة الأخاذة ، يصيبه شرق ، ولايريحـه منه إلا فراق الحياة . إنه يجيل تفكيره وسبح خياله في تلك الصور ، التي انطمست ، ولكنها تركت ما يشـبه الرواسب

في النفس.. تتضح بالآلام والحركة ، ولعل مرد ذلك الحرمان والعناء ، ولم تكن النهاية على نحو ما سعيدة ، ومعطيات الحياة.. أن الفراق الذي يعقب العلاقة يكون مريرا وشاقا ، لأنه انفصال بعد وئام ، أو ارتباط.. قد لا يكون ساراً، وانما يكتنفه صراع متصل .. يفضي إلى الفرقة، بعد نزاع وحياة قلقة.. يشوبها عدم التوافق في الأمزجة، أو الحاجة من اليسر الذي يضفي على العلاقة شيئا من الرضا. والنفس القلقة.. نزاعة إلى السخط والضيق بما حولها ، فلا تحلو لها حياة، لاسيما في مواقف الإباء والكرامة، ومايخدشها من ضيق ذات اليد. مما يؤدي إلى الاحتياج الذي تأباه النفوس الكبار، التي تتعب في مرادها - الأجسام - ، كما يقول المتنبي.

إن شاعرنا.. حين يلتفت إلى حلقة من حلقات الماضي الذي انتهى إلى حد أنه يصفه بالموات ، غير أن بقاياه باق ، ومرد البقاء تلك الآلام والحركة ، فالشعور بها دائم التجدد ، أما السعادة.. فساعاتها قصار ، تمر سراعا.. كما يعلن ابن زيدون واضرابه.. من شعراء الغزل في الماضي والحاضر ، لأن الحال واحدة، وانظروا إلى قول الشاعر المهندس.. على محمود طه .

ليت هذا الليل لا يطلع فجره !

ويمضي الشاعر في الحديث ، من دوافع انعكاس مافي نفسه من شكوى وآلام يختزنها ، وليس لها من متنفس سوى الشعر ، يمضي يردد نغمته نفسها .. التي تحمل أصداء الماضي غير المبهج كله ، وربما كان كثيره شجنا وإحنا وصابا ، ويعلل بـ رب – لذكرى ، معطياتها – ويلات – تشبه الزلزال في النفس ، لا يقوى عليها حتى الانسان الجلد ، وتمتد إلى التأثير على أخلاق القوى والارادة.

ويأخذ الشاعر ، أو يجنح إلى مخاطبة القلب .. بعد تلك المقدمة المفعمة بالألم الممض.. الباقي في وجدان الشاعر ، من خلال تلك المعاناة الحياتية ، وتجربة الهوى المبرم ، يلتفت الشاعر في خطابه.. إلى قلبه ، بأنه كان مغرورا بذلك الماضي الرائق مظهرا وربما معايشة ، وكان حفيلا بما نال فيه من حظوة وبريق ، وللهوى مسرح مشرع الأفنان ؛ يطل على حياة.. فيها وداعة ورمق وداد ووفاق.. في تلك الآفاق المخضلة والمخضرة، وتلك بهجة ، ينعم فيها الانسان.. الذي يرضيه القليل ويراه كثيراً ، لأنه مني بالحرمان في حياة كادحة. ويبلغ الرخاء

تلك الحياة الوادعة - وهي قصيرة - لها خرير ماء ، وجدول منساب، هامس الانسياب والمسيل.. في تتابع ، وعلى ضفتيه يرى الزهر يانعا في نظام جميل.. والورد أمام عيني الشاعر متفتح من ذلك الماء النمير من الجدول الحالم، وهو إغراء بجماله، حتى إن مفاتنه تسحر العين ، إذ ترفرف عليه رؤى الحسن منداحة، حتى ألوان الورود الذائبة في الهوى والهواء.. في عين الانسان ، تفوق - الشفق - بجماله .. بعد غروب الشمس.. في الأفق ، والشاعر حالم في محرابه يُغدق عليه الرضا.. من كل أبعاده ، فيعيش لحظاته العذاب منعماً ، وتلك لحظات صدق الهوى ، فيندثر في رونق الفرحة والود العارم .! وتتغير الحال ، فقد كان الشاعر في تذكر الماضي.. البعيد أو القريب، ولكنه ماضٍ ، وقد أفاق شاعرنا من سباته ، ولعله كان في حلم ، وأصبح الجدول السلسال.. وحوافيه الحفيلة بالزهر والورد، أصبح سراباً ، والأرض مَحْلاً ؛ وتلكم هي الحياة.. لا تبقى على حال واحدة، ذلك أن دوام الحال من المحال ، كما يقال ، وصاحبنا - شيخ العرب - الدكتور بكري شيخ أمين كعادته يمر على أبيات

القصيد مسرعاً ، لا يلوي على شيء ؛ كأنه لا يعنيه.. فلا يقف على المعاني .. يبدي جمالها ومعطياتها ؛ ولا على كثير من الألفاظ .. التي ينبغي أن تشرح للقارىء لاسيما البعيد عن تعامله في حياته ، وهذا الوجه من تقصير الأستاذ الجامعي .. يندرج في دائرة ظلم الشاعر الكبير من عصره وأهله ، فلله الأمر من قبل ومن بعد.

(١٠)

الشاعر يسأل في عنوان قصيدته التي أمامي: " لِمَ أهواك " ؟ ، ولعله تساؤل الحائر، لماذا وكيف انساق الهوى إلى نفس الشاعر. ولعل الهوى يأتي تلقائياً بلا خيار من صاحبه، غير أن مقدماته.. تدفع به أن يقع، وأن يكبل الفخ الانسان.. الذي يجد من نفسه اندفاعاً نحو من يقع في شراكه، ثم تلفه الحيرة والشكوى والتبرم؛ لأن الحب كما يقولون : أوله المزاح.. وآخره شبيه بالمنايا. وإن الشاعر أحمد شوقي يصفه بقوله :

نظـــــــرة فابتســـــــامة فســـــــلا

م ، فكـــــلام فموعـــــــد فلقـــــاء

ولعلـي لسـت مدعـواً إلـى أن أطيـل الحديـث عــن الهـوى؛ فـأذهب أضـرب الأمثـال، وأسـوق الحديـث عـن العشاق وهمومهم، فتلك حال يعنـي بهـا.. الذيـن يقصـدون العشق وأهله.. فيطيلـون الوقـوف؛ وقـد يبـدو مشـوقاً عنـد بعـض المهتـمين بهـذه الجوانـب مـن حيـاة بعـض النـاس. ولست أمـلك أن أفصل أو أن ألبس شاعـرنا ثـوبـاً، ربما لا يلائمه، ذلك أن اصدار أحكامٍ جزافية علـى شـخصية غير عادية.. مثل حمزة شحاتة، لا يليق بمـن يتصـدى للحديـث عـن حيـاة أديـب بـارز.. مـن خـلال أدبـه، وخـلال شـعره خاصة.!

نحن أمام قصيدة لشاعرنا.. اتخذ لها عنوانـاً: " لـمَ أهواك "، ودعونا نستمع إلى الشـاعر.. يتحـدث عـن حالـه والهوى، كيف المدخل، وكيف نجد وصـف شـاعرنا لحـال المحب، ولحاله هو خاصة، لأنــه صـاحب التجربـة، فمـاذا يقول عن تجربته وشكواه، لأن الهوى.. ليس هيّنـاً، وليـس

لعباً، ولكنه معاناة وذل وتكبل في عقابيله ودوامته !؟ ونحن ندرك أن شاعرنا قوي الشخصية، وذو إرادة وعزيمة، غير أن سلطان الهوى أقوى، لأن الارادة أمامه تضعف وتتراجع، ويصيبها الخور والانهزام. دعونا إذن نستمع إلى شاعرنا وحواره مع هواه، ومع من يهوى، كيف نجده ؟ وكيف حديثه مع ذلك الهاجس المتسلط ؟

يا حبيبي يا ملتقى السحر والفتـ
ـنة ، يا غالبي على أمر نفسي

لِمَ كانت ولا أسومك لوماً
قِسمتي في هواك قِسمة وكس ؟

ألأني آثرت في حبك القا
هر عِزّي ، ذهبت تطلب نفسي

أم لأني ضحية الألم الصا
مت أطوي على المواجع حسي

والديباجة الشعرية القوية.. تأخذ مسارها الإنسيابي.. عند الشعراء المتمكنين والمجيدين، بلا تكلف

ولا عناء. ولدى شاعرنا شحاتة كل كلمة، أو قل أكثر كلمات قاموسه الشعري.. دقيقة المعاني، بحيث لا يستطاع أن يخلع عليها أي ثوب.. كي يستخرج المعنى الذي يريده الشاعر، أو قريباً منه، لأن المعاني لا تتبع الألفاظ مباشرة، ولكنها في الشعر والحكمة.. تحتاج إلى مهارة لكي يصل القارىء أو الكاتب إلى المعنى المراد.!

يبدأ الشاعر خطابه لحبيبه، ويراه في عينه كما يصفه.. نماذج للسحر والفتنة، وأنه غالبه، كأنه أصبح أسيره، ويأخذ الشاعر يسأل : لِمَ كان ذلك ؟ ولا يحمّل حبيبه تبعة حاله، ويرد أمر تعلقه به إلى الغبن. وهذا شيء طبعي.. أن يكون حال المحب الخسارة وتحمل الأعباء والظلم والحرمان.. والذل والانهزام، إلى غير ذلك من التبعات الثقال التي يلقاها المحب ويحتملها، ولكن سرعان ما يضجّ بالشكوى من الجور واستبداد القوي؛ لما نسميه : " حكم القوي على الضعيف " !

وظن الشاعر بحسه وتصوره.. أن ذلك الهوى يوليه عزاً، وما أكثر ما ينقاد الشعراء ويُخدعون.. حين يمضون في توجه نفوسهم، لا يلوون على شيء.. سوى

ذلك الميل، الذي يشغلهم ويأخذ بألبابهم، ظناً منهم أنهم قد غنموا ما وصلوا إليه، وما صادفهم، ثم بعد ذلك يفيقون.. بعد الصدمات، بأنهم كانوا خاطئين.!

صاحب شاعرنا.. كعادة هذه النماذج، يتصيد الفرص والضعف والاندفاع بلا احتياط.. للسيطرة والاستيلاء والتحكم غير المحدود. وهو ما يصوره البيت الثالث. أما البيت الرابع في تهويمات الشاعر في هواه؛. فيمضي في تساؤله وحيرته في شيء من استغراب؛ ويرد في تساؤله، أنه قيد الهوى.. الذي أسماه – ألماً صامتاً – يحمله بين جوانحه، فيكبت آلامه ويغلف حسه في طوايا مواجعه. ويأخذ الشاعر في بسط همومه وأحزانه، وغبر ذلك.. تساؤل مرير متجدد؛ وخلال هذا السرد، يعرّج على معطيات الجمال وتأثيره، وأن البهاء مفعم في البدر والزهر، وهو أكثر روعة وتأثيراً، ولو.. أسعف المعنى ومبنى الشعر.. لقال إن جمال تلك الكائنات إسرها؛ إن صح أن لها إسراً لا يصل إلى حكم تأثير حسن البشر، وأن من يحب.. نفسه ملأى بالهم والحزن والحيرة والشقاء، وهل مرد ذلك ـ الحسن ـ ، أم مرده شيء آخر

خفي، تدل عليه مفاتن جماله.. البادية العذوبة والتموج والإبهار، وراء شيء شفيف، يوشك الجمال غير البادي أن يُرى. ولعل شاعرنا المجيد السبك اللفظي والمعنوي، أراد أن يسلي نفسه، ليخفف عنها ضغوط الإنقياد لمن يهوى، فيعلن في بيانه أن الجمال مشاع في كون الله الفسيح، وأن الحسن ليس منحصراً أو متمثلاً في الإنسان وحده.. وإن طال الادعاء.! وهذا حق؛ وحين نقف على شيء من آيات الكتاب العزيز، التي تعنى بالجمال؛ نقرأ قول الله تعالى " ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح " وقال عز سلطانه " والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة "، وقال سبحانه " ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ".

حقاً، إن الذي يعرف حياة البراري، لاسيما في أوقات الربيع.. يدرك ذوو الحس ذلك الجمال بين الحيوان الراتع والزرع والنوار والماخ الأخاذ !

لم أهواك أيها المفعم النفـ ــس شجوناً ، وحيرة ، وشقاء

ألحسن ؟ فالحسن في البدر والز هر أندى وقعاً وأضفى رُواء

أم لمعنـــى شـــفّت مفـــاتنك العـــذ

بـــة عنـــه ، فكـــاد أن يـــتراءى

فالمعاني في الكون ، ليست على الإنـــ

ســـان وقفـــاً ، إلا هـــوى ، وادّعـــاء

ونقرأ بيتاً بيتاً، فنشعل بمعنى المعنى عبر ذلك النسيج.. الذي يظهر قدرة الشاعر وعبقريته، فنكبره ونقدره، ونعجب بتلك المعطيات القوية.. التي تفضي بروائع المعاني الممرعة، واقرأ إن شئت قوله :

والمعـــاني بوحيهـــا ، ومـــدى الوحـــ

ـــي عميـــق ، فيمـــا يضـــم الوجـــود

لو ذهب قارىء فطن وراء معطيات تلك الكلمات التي حفل بها هذا البيت، ليبيّن ويشرح مكامنها، لاحتاج إلى تأمل عميق، وإلى تفكير معمّق.. يوصله إلى أبعاد هذا الشعر الحي النابض القوي؛ وهذه هي القيمة للشعر، أياً كانت تراكيبه، ليبقى مع الأيام، متوهّجاً، لأنه قيمة في ذاته، ذلك أنه جوهر متجدد المعاني والمعطيات مع كل قراءة، لأنه قيمة غالية وعالية، لأنه رائع.

انظر إلى رؤيا الشاعر للمعاني وما توحيه من بعد وعمق.. مما يحفل به الكون، وما أكثرها، ولعلها تحتاج إلى – حس – ، وإلى تأمل وتدبّر وتفكير .!

" أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج. والأرض مددناها وألقينا في رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج. تبصرة وذكرى لكل عبد منيب، ونزلنا من السماء ماءً مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد، والنخل باسقات لها طلع نضيد. رزقاً للعباد، وأحيينا به بلدة ميتاً، كذلك الخروج ". وقال تعالى: " وفي الأرض آيات للموقنين ". وهكذا يحلق الشاعر، حين يدفعه حسه.. وهو شبه مكبل بالهوى، أن يسبح في تأمل بعيد وقريب، لكي يضرب الأمثال بالحسن في أشياء كثيرة، ويصور المعاني في أشياء كثيرة، وهكذا يدفع الهوى.. الفكر أن يمعن في التأمل فيما حوله، وما هو بعيد عنه، ليبدع الوصف.. في تصوير بديع .!

فنراها في قطعة الأرض والصخـ

ـرة ، شعراً لم يبله الترديد

وتراهـــا فـــي نامـــة الطـــير للطيـــ

ـــر نشـــيداً ، لـــم يجـــر فيـــه القصيـــد

وتراهـــا فـــي لفتـــة الظبـــي للظبـــ

يـــة ، ســـحراً يُبـــدي ، وحينـــاً يُعيـــد

أجل المعاني كما يقول الجاحظ : مطروحة على قارعة الطريق ، يأخذ منها النابه ما يريد ويحتاج إليه ، وشاعرنا يترجم ذلك ، بأنها في الأرض.. بما حفلت به من جمال وآيات ، ولكنها لمن أُوتي نعمة البصيرة ، من " الموقنين " ، وفي الصخرة قائمة ، أو في بناء، وفيها نبتة؛ كما يصورها شاعر الجندول :

لا تقـــــل أخصـــــب الـــــثرى

فهنـــــــا أورق الحجـــــــــــر

وكذلك الشعر الباقي، باق، يتجدد مع الأيام، لا يَخْلَق. وهي كذلك.. أي المعاني في غناء الطائر لأليفه شدواً، لا يجاريه الشعر، وتراها أيضا في انثناء عنق الظبي لأنثاه.. في وئام، يغري بالتأمل لحال حيوان مع مثله .!

ويمضي الشاعر يرسم في ترائيه.. عن المعاني ومعطياتها، متأملاً في صنع الله؛ يضرب الأمثال.. وهو ينظر إلى الحياة بعين بصيرة أو قل ببصيرته. كل ذلك وأكثر منه في هذه القصيدة الغزلة، أو قل الوصفية، ليؤكد أن الجمال ليس وقفا على الإنسان وحده ولكنه مشاع في أشياء.. نراها حولنا، كما نرى الأضداد، لأن الحسن لا تُدرك حقيقته.. وكذلك القبح إلا بالضد، لذلك قيل: " والضد يظهر حسنه الضد "؛ وهكذا نرى شاعرنا حمزة شحاتة يضرب الأمثال في معطيات المعاني، وكأنه أراد أن ينفّس على نفسه.. بهذا التجنيح والخروج عن الشكوى والألم، وهو ليس أمامه بما يحمل من إباء.. إلا هذا المنحى الذي يركن إليه.. راضياً أو غير راضٍ؛ فليس له خيار يمضي فيه، لذلك أخذ يشرّق ويغرّب؛ يسوق الشيء وضده.. في تصوير بديع.

وقبل أن أسوق المقطع التالي من هذه القصيدة، لابد أن أشير إلى أن الدكتور بكري شيخ أمين كعادته، لا يهتم كثيراً بشرح الكلمات التي ينبغي أن يبين معانيها للقارىء، للتيسير عليه. فقد تجاوز عن بيان معنى كلمة

" المفعم "، ومعناها امتلأ وفاض، و - شجون - ، وهو الهم والحزن. وكلمة - رواء - ، وتعني المنظر الحسن، وكذلك شرح البيت الرائع :

والمعـــاني بوحيهـــا ومـــدى الوحـــ

ـــي ، عميـــق فيمـــا يضـــم الوجـــود

ولم يشرح معنى - يرفّ - وهو: يبرق ويتلألأ، ولا - وحف - ، وتعني هنا: غزر. وكلمة - ثرارة -، وتعني السحابة التي تحسبها ماطرة، وتعني كذلك الكبرياء والتوهم. و - طليح - . وتعني : أنه متعب مهزول، وأدركه العياء. وألفاظ أخرى... كان يجب أن يعني بها المشرف على إخراج الديوان، ولكنه رجل عجل كما أشرت.. من قبل، لا يريد أن يرهق نفسه بالبحث في المعاجم عن معاني كلمات الشاعر الكبير، الذي يملك قاموساً واسعاً من ألفاظ العربية.. وظّفها أحسن توظيف في شعره.. كما اهتم بالمعاني، فهو ممن يُعني باللفظ والمعنى. وشاعرنا المتميز.. نسيجه متفرد، وهو ذو قدرة فائقة على اتقان بنائه الشعري؛ والشعر العمودي القوي الباقي.. صعب التركيب والنسيج، ولا يقوى عليه إلا شاعر متميز مجيد، ينمنم البناء والمعاني واللفظ المتخيّر.!

ويتحدث شاعرنا حمزة شحاتة.. رحمه الله في هذا الشـعر القوي، فيقول :

وتـــراه فيمـــا تـــرى مـــن جميـــل
وقبيـــــح ، وهيّــــن وعظيــــــم
صـــــوراً حيّـــــة ينـــــاجيك منهـــــا
ألــف وجـــه مـــن كـــالح ووســـيم
كـــل وجـــه دنيـــا بتاريخـــه النـــا
بـــض تَصْبَـــى بحـــادث وقديـــم
وفضـــاء لا يعــرف الحـــد والقيـــ
ـــد ، ولا غـــرة الضنَـــى والســهوم

وتنطلـق هـذه القصيـدة ثـرارة متموجـة، فيهـا هـذا السـبح الوصفـي الأخـاذ بمعانيـه وألفاظـه التـي عنـى بهـا الشاعر، ولم يكن مرد هذا الإتقان الهوى الـذي شـغل قلـب الشاعر ومشاعره ونفسه، ذلك أن شعر حمزة شحاتة يتسـم بالقوة؛ والشاعر العبقري قادر على صياغة الدُّر المنضود، تلك المعاني.. التي غاص الشاعر وراءها لاستخراجها من

مكامنها، لينسج منها ومن اللفظ غير السطحي، شعراً قوياً، يطربك حين تقرؤه أو تسمعه، وتحفل به، ويمتلك عليك نفسك، إعجاباً به.وبقائله، لأنه شاعر ابتداعي.. مجدّد ومجود فيما يقول.. من هذا البناء الشعري ؛ في نسق خطابي باهر. ونمضي مع الوصف والتساؤل من خلال هذه الانطلاقة في الهوى.. الذي قيّده وكبّله، فأخذ يغرّد.. مثل الطائر السجين، لا يكف عن الصدح والغناء، لأنه طبع على الصدح والتغني.. مسبّحاً وسابحاً ، وليس ذلك تكلفاً ولا تصنّعاً، وإنما هي سجية فيه مركبة ومغروسة، من الذي خلق فسوى؛ ويدندن الشاعر فيقول :

أم لحسن ، والحسن في البرعم المكـ

موم ، لطف يسري ، وروح يرفُّ

وهو في مولد الربيع حياة

تتصبّى ، وفتنة تستخفُّ

وهو في لفتة الخريف وداع

ودموع ثرّارة ، ما تجفُّ

وهــو فــي عزلـــة الشـــتاء انقبـــاض

وصمــوت ، بعــدي المشـــاعر وحــفٌ

ومـع الحسـن فـي هـذا التصويـر الممتـع فـي جنـة الربيع اليانع، وهذا الفصل يشبه صبا العمر، لأنـه ربيعـه المزهر، وحين تتصبى الحياة، فتكون فُتوة، وتكـون فتنـة.. تستفز صاحبها أو من حوله ومن يراه.

وآسـر الحسـن الشـاعر، فمضـى يصـور مواكبـه، وتأثيره، ويقيس عليه مـا يعتمـل فـي الحيـاة، ويصـف وقد الحسن، كالرّمضاء، تكوي فتنداح منها الشكوى، مما تحدثه مـن لهـب وعنـاء، والحســن كذلـك.. فــي جريـان المــاء المنساب في هينة، كأنه لحن، وهو لحن جميل، لاسيما مـع نسمة وسنى غافية، فـترى الطبيعـة خفاقـة بمـا فيهـا.. مـن الصنـع البديـع؛ وتـرى حولـك فـي الربيـع الـوادع انتشــار الزهر، من كل لون وعبق فوّاح، تغذو بــه النسـمة.. لنشـر شـذاه ؛ وهـو كذلــك جمــال ممـرع، ليـس علــى الأرض وحدها، ولكنــه فـي السـماء، بيـن تلـك الـدراري المتلألئـة، اللامعة، وفي السحاب الماطر، والسماء المضاءة بالشمــس

والبدر، تلك لوحات تملأها الروعة والبهاء، وقد زينها الله، والأرض أنبت فيها من كل زوج بهيج، بعد أن مدها وألقى فيها رواسي، فكانت بأنهارها وبحارها وزروعها وأوديتها وجبالها - جنات - بما فيها وعليها.!

وهو في وقدة الظهيرة شكوى

مرهق، ضاق بالظهيرة وقدا

وهو في همسة الجداول لحن

طاب في مسمع الطبيعة وقعا

وهو في ملتقى الظهور حديث

لم تضيّع له النسائم رجعا

وهو في الأرض والسماء جمال

يتفشّى هوى، وينساب لمعا

هكذا ينساب الشاعر مع خياله ولحنه الجميل؛ يصف الحسن في كل شيء أمامه.. ومما يرى ويسمع، ويتأمل برؤية.. بعيدة الامتداد في هذا الكون لمعجب، وعبر معارف الإنسان وفكره، لأنه شاعر عبقري، عميق

التأمل، دقيق الملاحظة؛ غير مقيّد ولا مكبّل، ذو ذهن صافٍ، يعيش بحواسه.. مع ما حوله من الكائنات، التي تملي على ذي الخيال الجائل، والفكر المتوهج رؤية وتأملاً.. لا يحظى به كل إنسان، لأن له عطاء.. نال به ذلك السبح؛ وهو الذي اصطلحنا على تسميته بالموهبة.. التي تعطيه ذلك التميز والتفرّد وقوة اللمح والقدرة على التصوير.. بهذا التخيل البارع، الذي نجده فيما نقرأ من جمال الصياغة. وما أكثر الذين يحاولون الارتقاء إلى مصاف التميّز.. والعبقرية، ولكنهم لا يبلغون ما يريدون، لان طاقاتهم تقصر عن الوصول إلى القمم، فقعدت بهم دونها، وهم غير قانعين، وتجدهم يحاولون الإدعاء.. بأنهم عباقرة، وأنهم أنتجوا الكثير والكثير، والكثرة ليست مقياس الجودة، ولن تكون يوما ما. ومهما يكن من شيء.. فإن الشاعر الكبير حمزة شحاتة.. رجل ذو ذهنية قوية، وخاصية عبقرية.. قليل الذين يزاحمونه فيها، ومع ذلك كان حظه نكداً، لأنه حرم ما ينبغي أن ينال في دنياه، تقديراً لعبقريته وفنه الأصيل. وهو رجل ذو إباء وشمم، لم يتدان، ولم يضعف، فعاش عزيزاً مع القل، ومات عزيزاً،

لأنه لم يذل، ولم يهن، وحين يئس.. آثر العزلة، ذلك أن فيها عزاءً وبعداً عن دنيا الجحود وغمط التقدير، وتلكم غاية.. الذي يقصر حظه عن نيل ما يستحق، فينأى في عزة.. وقد صح منه العزم، وصدق المطمح، ولكن الحياة تجري على نحو ما، تختلف عن الحسابات والتقديرات التي يتخيلها المرء، وحسبي استشهاداً بقول الجاحظ :

لئن قدّمت قبلي رجال فطالما

مشيت على رسلي فكنت المقدما

ولكن هذا الدهر تأتي صروفه

فتُبرم منقوضاً وتنقض مُبرَما

ونعود لشاعرنا.. بعد ذلك التحليق في حديث الحسن والجمال.. وأنه مشاع في أشياء كثيرة، ليس في الانسان وحده، ذلك أن الكون كله جمال، وإذا رأيت فيه شيئاً من خلل.. فإنه من تدخل الانسان وعبثه وإفساده .!

بعد تلك الأمثال.. التي ساقها الشاعر فيما قدمت من شواهد من قصيدة : " لِمَ أهواك ؟ "، نصل إلى الرد على التساؤل؛ وهو تساؤل آخر، لعله امتداد لسابقه، فيقول:

ألهـــذا أهـــواك ؟ يـــا مثقِـــل القلـــ
ـــب بهـــمَ مـــن الشـــقاء طويـــل
أم لـــذل أذقتنـــي منـــه مـــا أظـــ
ـــمأ روحـــي علـــى رواء مخيلـــي

فـي البيـت الثـاني، الجميـل الـتركيب والمعنـى، يخاطب الشاعر من يحب، بأنه أذله لأنه محب؛ فـذاق مـن ذلك الظمأ الروحي، رغم أن سحائبه كثيرة المطر والـرّي، وهذا قريب من قول الشاعر :

كـــالعيس فـــي البيـــداء يقتلهـــا الظمـــا
والمـــاء فـــوق ظهورهـــا محمـــول

والظمـأ عنـد شـعارنا معنـوي، فقـد دهـاه حالـه، وحرمانه، حتى إنـه يـرى المـاء لا يبـل الصـدا ولا يجديـه شيئاً، لأن ظمأه ليس جسمانياً، وإنما هو روحي.

أم لهـــذا الفتـــون يـــروي بـــه غيـــ
ـــري غـــلا ، ومـــا يبـــل غليلـــي

أم لجهـــل عرفـــت ســـيماءه فيـــ

ـــك ، وشـــأن مـــن الذكـــاء ضئيـــل ؟

والفتون، ما يعجبك وتشغل بـه، يـرى الشـاعر أن غيره يروي به، وهو صاد عطش، لا يجد مـا يبـل ريقـه، كناية عن الحرمان في الهوى، ورغم كل ما يبـذل ويسـعى ويصنـع، وغيره ينـال حظـه.. في يسـر وهنـاءة.! ويعلـل الشاعر بأن ضعف ذكاء من يهوى، وجهل ظاهر المعالم.. أدّى إلى عدم التقدير والانصاف، وأدّى إلـى الظلـم وسـوء التعامل. ولم تعجبني كلمة – وشأن –، لأنهـا لـم تكـن فـي موقعها الذي يناسبها .!

أترانـــي أهـــواك حقـــاً ؟ فمـــا فيـــ

ـــك لمثلـــي معنـــى يمـــازج حســـي

أم ترانـــي أهـــواك زوراً ؟ فَلِـــمَ يصـــ

ـــبح قلبـــي علـــى هـــواك ويُمســـي

أم ترانـــي أحـــب فيـــك – ومـــا أشـــ

عر – نفسـي ، وأنـت عنـدي كنفسـي ؟

لأنـــا منـــك فـــي ســـبيل مـــن الحيـــ

رة تضنـــي عقلـــي ، وتثقـــل حدســـي

تساؤل.. تكتنفه الحيرة والوجد، وذلك دأب الهوى وديدنه ومساره.. عبر طول الحياة وتقلباتها وهمسها.. الذي لا ينتهي. ونرى الشاعر في بدء هذه الرباعية.. يبدأ حديثه بسؤال شبه استنكاري؛ كأنه أفاق وصحا مما كان فيه، فهو يشكك في ميله وهواه؛ وينفي أن يكون فيمن يحب خصال تتلاءم ونفسه وأحاسيسه. ويصل التراجع بالشاعر إلى حد أن هواه.. ليس فيه شيء من حقيقة، وإنما هو مزوّر، وأن قلبه.. ليس متعلقاً به صباح مساء. ويعرّج في هذا التساؤل المتصل، فيرى أن الهوى لارضاء النفس، يجعله.. حبه لمن يهوى ، كحبه لنفسه، لأنه هاو، وكأنه نفسه ؟ ذلك شأن المحب.. في مختلف أطواره. ولأن حاله كذلك، فهو حائر، تعب ، عقله متقل بظنه وتخمينه، وكأنه في دوامة، ولا أدل على ذلك من هذا التناقض الموّار.!

لســـت تـــدري ! نعـــم ، ولا أنـــا أدري

لـــم تهفـــو إلـــى لقـــائك روحـــي

ولمـــاذا أكـــون فيـــك كمـــا تـــر

ســف فــي الســجن ، فكــرة المكبــوح

ولمـــاذا أكـــون إن غبــت فـــي دنــــ

يـــا ســؤوم ، جــم الكــروب طليـــح

فــــإذا لحــــت أشــــرقت وتلقتـــــ

لـــي بوجـــه طلـــق المحيـــا صبيـــح

هكذا طبع المحب وحاله، يدفعه القلق إلى حيرة تشغل عقله ونفسه، وهكذا تراه يسأل ولا يجد الجواب، لِمَ تميل نفسه.. وتذهب نحو من تحب ، طروبة جذلى، وأن الشاعر في ميله.. شبيه بالمقيد، والمردود عن الحاجة، وفكره مقيد، ذلك أنه يعاني آلام الهوى، ليس حراً، وبالتالي ففكره مشغول مقيد، غير طليق، وإنما هو سجين مكبل تبعاً لصاحبه.!

ويصف حاله.. حين يغيب عنه.. بأنه يجتاحه الملل والسأم، وهو في كرب عظيم، ومتعب مهزول، قد أدركه العياء. وقد أهمل المشرف على طباعة الديوان.. الدكتور: بكري شيخ أمين، أهمل إيضاح وشرح الكثير من

الكلمات، التي تتطلب تقريبها من القارىء، لأنه عجل، ولعله يرى أنه غير معني بذلك، وهو تقصير محسوب عليه؛ فلماذا لم يضع تعريفا وشرحاً لكلمات: المفعم، أضفى، يرفّ، كالح، وحف، ثرارة، مخيلي، تهفو، ترسف، المكبوح، طليح.. إلخ.

وفي البيت الأخير من الرباعية، يعلن شاعرنا.. أن محبوبه إذا ظهر وبان، فإن روح الشاعر.. تشرق، وتبتهج وتصفو وتسعد، وهو حال المحبين.. لاسيما ذوي الشفافية والحساسية، وليس متبلدي الحس والشعور.!

لست أهواك - ولا هويتك للحسـ

ن ، فهل فيك غير حسن عليل

لا ولا للشباب والعمر الغـ

ضّ ، فعمر الشباب غير طويل

لا ولا للشعور أو لمحة الحسـ

هما فيك مثل رسم محيل

ومجال الحياة أحفل بالحسـ

ن ، ولكنه شقاء العقول

تأخذ الحيرة بتلابيب الشاعر، كأنه يفتش عن مخرج، ويبحث عن حلول، فتراه يتعلل.. ويسوق الافتراضات والعلل، ليهون عن نفسه ويسليها، كشيء من تنفيس؛ علّه ينسى أو يتصبّر، فيصحو من سباته وهمه الذي كبّله، لأن الهوى سلطان يجثم على النفس؛ فيرديها ويذلها ويحيرها.. ويصليها ناراً، ويملأها هماً وغماً.!

يخاطب الشاعر من يهوى، وهو ضرب من التخفيف عن النفس من همها، فيقول: إنني لم أهوك للجمال، لأن جمالك مريض؛ ويقول له في البيت الثاني.. إنه لا يحبه لشبابه، لأن الشباب عمره قصير، ولا لمشاعر دفّاعة إلى ملامح الجمال، لأن الحسن متغيّر وزائل. وأن من شغل الحياة.. الإهتمام بالجمال، وهو عناء وهم للعقول، حيث تشغل به ويلهيها، لأنها حفيلة به، فهو جذاب وساحر ومرغوب فيه، ومتعلق به لذاته، حتى أعتى النفوس والقوى، يقهرها الحب ويذلها، ويرمي بها بين الأرجل، ذلاً ومهانة وضعفاً، على حين تجد الشجاعة والبطولة منها في الحروب والقتال، فالحب إذن.. سلطان جبّار قاتل.!

أنـــت فـــي فكرتـــي غنـــاء وقيـــد

وبقلبـــي أســـىً يلـــظ شـــعوري

يبســـم النـــاس للحيـــاة وأغضـــى

دون غايـــات لهوهـــم كالأســـير

حـــال حسـن الحيـاة والنـور فـي عيـ

ــني ، فنفســي تهيـم فـي ديجـور

وأرانـــي أســـتروح النســـمة الحيــ

ـرى ، وجـدواك لـي كجـدوى الهجـير

هكذا الحال عند المحبين، - غناء وقيد - " إن صح التعبير ، فالغناء إطراب، ومحبب عند كثير من الناس، أما القيد.. فهو أسر.. لأنه تحكم وتسلّط، وللحب في النفس والقلب آلام ملازمة لشعور الإنسان، ومنهم شاعرنا.! ويتحدث الشاعر.. وهو يبسط قضيته، أن الناس سعداء في حياتهم، يعني الخالين من الأسر المكبل لهم.. مما يسمى الهوى؛ أما هو فمتغافل صامت؛ جفونه لا ترى ما يشغلون به من لهو ومرح، لأنه يشبه الأسير.. مما هو

فيه؛ لأنه حزين.. مكروب، لا يحفل بشيء مما حوله. وأن جمال الحياة والضوء في عينيه.. قد تغير، وأن نفسه سارحة في ظلام؛ لا يرى شيئاً، ولا يرى جميلاً، كأنه لا يرى.! وهو يطرب للنسمة الحائرة في مداراتها، ولكنها لا تضفي عليه شيئا، بل إن معطياتها أشبه بالصهد في الهاجرة القائظة الواقدة.!

أي حاليك اشتكي ؟ أنت في القر
ب ، وفي البعد مطمع ممطول
وكم ارتحتَ لي بجملة ما فيـ
ك ، فلم يَروَ لي عليه غليل
أوراء السّمات من حسنك الذا
بل ، ورد بما أريد حفيل
لست أدري ، أذاك من صنع وهمي
فيك أم أنه جمال أصيل

لا يدري الشاعر.. أي جانب يشتكي ممن يهوى؟ فالذي يحبه.. يجده في قربه وبعده موضع رغبة وطمع،

ولكنه غير ميسور، لأنه ذو مطل وتسويف، وأن ارتياحه لكثير مما في من يحب؛ ولكن الشاعر يظل ظامئاً، لم يرو عطشه ، لأنه نهم، ولعله لم ينل شيئاً.. يهنأ به .!

ويشغله اتساؤل المتّصل، كأنه يبحث عن ضائع، وعن غائب، يسأل عما وراء الملامح من الحسن الذي ذبل، بفعل الزمن والحياة، هل خلفه مورد يطفىء ظمأ الشاعر ؟ ويستدرك شاعرنا، فقد تكون تلك الرؤية.. من صنيع الوهم، أم أن الجمال مؤصّل، والشاعر لا يرى ما حوله، ولعله ينظر ولا يبصر.!

لتمنيت أن أكون عبيراً

ضل مسراه ، في جوانب صدرك

أو دماً شفّ في عروقك عن

معانيك ، في مفاتن سحرك

أو خيالاً يجول في قلبك السّا

ذج ، قرت فيه حقيقة أمرك

أو كلاماً يدور في فيك سكـ

ران ، أطافت به حلاوة ثغرك

هكذا يتمنى الشاعر في خطابه، أن يكون عطراً تاه طريقه.. في ساحة صدر من يحب، أو يكون دماً يسري في عروق محبوبه، يشفّ عن أسرار المعاني في مغريات الجمال وسحره. وأن يصبح خيالاً يجوب في قلب صاحبته، ليكشف ما فيه، أو يقف على ما فيه حقيقة ؟ أو كلام غير صاح.. إن صح هذا التعبير؛ يسرح في.. في حبيبه، تحيط به حلاوة ثغرها .!

هذا التساؤل، لكي يصل إلى علة تعلقه، وتتيمه في هواها؛ ويكتشف ما وراء سر الحقيقة المتغيّر؛ لأنه توّاق إلى أعماق ما فيها، ولا يريد الإلمام بالقشور، وهذا توجه فيه إباء.. رغم كل الصّور والحالات التي رأيناها في تعابير الشاعر وشكواه .!

ولكن الشاعر قلق، غير مطمئن، حتى لو وصل إلى ما يريد معرفته ورغائبه، ذلك تقديره وحساباته، وهي كذلك ظنه وتهويمات نفسه، لأنه تقدير.. وظن الحب، الذي يُريه القليل كثيراً. ومرد ذلك أن الحب أعمى كما يقول المثل السائر.!

لأرى مــــا الــــــذي يُتيمنــــــي فيــــــ

ك ، وألقـــاك خلــــف هـــــذا الحجـــاب

فأنــــا ظـــامىء إلـــى كنــــه مـــا فيــــ

ك ، فمـــا ارتضــــى فضـــول الشـــراب

لســـت بالمســـتريح فيـــك إلـــى الغـــا

يـــة ، لـــو نلـــت مـــن منـــاي طلابـــي

ذاك ظنــــي ، لكنهــــا ضلّـــــة الحــــــ

ب ، تريـنـــي ضحـــل الهـــوى كالعبـــاب

إن نمـط هـذه القصيـدة التـي بيـن يـديّ واحـد، هـو تساؤل حائر؛ ونفس بين الاستسلام والانهزام والإبـاء، إنـه قلق النفس الشاعرة المحبّة، لا استقرار لها، ولا راحة بال، ولا انتصار على النفس، ولكنه وجل يلاحقها؛ مرده الهوى الذي يعتمل في النفس، فيعكّر صفوها، ويبعث فيها القلق والحيرة؛ ويتحول إلى شكوى وتبرم بالحياة، التي هي تعب كلها.. كما قال شيخ المعرة؛ والإنسان فيها.. يدور معها، ويتقلب مع أيامها ولياليها.!

فتكشـــفَ عمـــا انطويـــتَ عليـــه

لأرى فـــي هـــواك نهـــج الصـــواب

فأنـــا منـــك فـــي بـــلاء أعانيـــ

ـــه ، ولـــون مـــن المعيشـــة كـــابي

وجهـــاد ضـــاقت بـــه النفـــس ذرعـــاً

وصعـــاب موصولـــة بصعـــاب

أنـــت دانٍ ، لكـــنّ (مـــا فيـــك) نـــاءِ

وســـبيل الحيـــاة دونـــك نـــابي

تمتـد الشـكوى عـبر أبيـات القصيـدة، وتبـدأ هـذه الرباعيـة.. ببحـث المحـب إلـى معرفـة مـا انطـوى عليـه المحبوب، كأنه يريد قراءة صفحـات حياتـه، أو المنطـوي منها، لأن البحث وراء المجهول.. هـو مفـاتيح الشـخصية؛ والشاعر يريد أن يصل في حبه إلى النهج الصائب، وقفلـة هذا البيت لم تعجبني، لأنها ليسـت فـي مسـتوى مـا عودنـا الشاعر.. من اختيار الكلمات الشاعرية المجنّحة، في سبله وبنائه الجميل؛ من تلك الطاقة والقدرة لديه .!

ويعلن في غير تحفظ.. أنه في هم من ذلك الحـب،

ومن المحبوب نفسه، وحال كئيبة خلال عيشه، لأن نفسه مضطربة . فهو في جهاد.. كما أسماه ، وأنّ نفسه قد ملّته، لأنه كبد متصل، وصعاب وراء صعاب. وان مخاطبه قريب، لكن قلبه بعيد، والتواصل متباعد ، والقرب.. بعد.! ونمط الحياة.. فيها كبر وتعاظم، فلا سبيل إليها.!

أنصيبي من الهوى هذه الوقـ

دة ، يشقى بها فؤادي اللهيف ؟

أفأنت الجاني عليَّ وإلا

هو فكري الظامي وحسي العطوف ؟

وهما فيك ثائران عفيفا

ن ، كما ثار في القيود الرسيف

طلبا فيك ما أضلاه من حلـ

م (وما فيك) ظاهر مكشوف

إن هذا التساؤل والحيرة ممتدان.. منذ بدء القصيدة إلى آخرها، فهو يرى في بدء هذه الرباعية، والقصيدة.. مقسمة إلى رباعيات، كل واحدة لها قافية تختلف عن

أختها، أما وزن القصيدة فهو واحد. يتساءل الشاعر: هل نصيبه في الحب تلك النار.. التي تلوّع فؤاده الحزين والمتحسر المحترق ؟

ويسأل الشاعر من يحب.. إذا كان هو الجاني عليه، أم الجاني هو فكر الشاعر العطش وحسه المتعاطف؟ لكنهما عند المحبوب ثائران وعفيفان، أي الفكر والحس، كما هي حال المقيد حين يثور.. يعني الشاعر أن فكر من يحب وحسه : ثائران وعفيفان، فهما غير حال الشاعر المضطرب القلق، لكن الهوى.. لا تحكمه العفة والثورة، لأنه هوى غير مقيد، وإنما هي عاطفة ووجدان .! وهاتان الخصلتان.. طلبا من صاحبهما ما فقد من حلم، وما هو ظاهر ومعلن في تلك النفس، لأنهما قوة مقيدة بالعفة، ولأنهما لم يجدا في تلك النفس مردوداً أو إصلاحاً لحالها؛ وهو تدليل رائع من الشاعر المجيد.

وكـــذا يطلــب الخيــال الأمــاني

وهــو عــن واقــع الحيـاة عــزوف

والهـوى - كالحيـاة - قـد يبلــغُ الجــا

رم منهـــا ، مـــا لا ينـــال العفيـــف

رب نفــسٍ نـــالت مناهــا علـــى العيـــ

ش ، وأخـــرى نصيبهـــا التســـويف

وهـــي دنيـــا الشـــذوذ يرتفـــع الجــا

هــــل فيهـــا ، ويُســـتذل الحصيـــف

وهكـذا تنتهـي هـذه القصيـدة.. بهـذه الرباعيـة الأخيرة.. التـي تبدأ بقـول الشـاعر ؛ إن الخيـال يطلـب الأمـاني، لكن الخيـال.. زاهـد فـي واقـع الحيـاة، ولـم تعجبنـي كلمـة - واقع - هذه - لأنها غير شعرية. ويعلـن الشاعر.. أن الهوى كالحياة، قد ينال منهـا الجـاني.. مـا لا ينـال العفيـف.! والأبيـات الثلاثـة الأخـيرة فـي هـذه المقطوعة.. فيها تصوير دقيق المعاني وأمثال من صميم الحياة ؛ وكما رأينا في قوله :

والهـوى .. كالحيـاة قـد يبلـغ الجــا

رم منهـــا ، مـــا لا ينـــال العفيـــف

وهذا حق.. لا مراء فيه، وقوله: رب نفس نالت مناها على العيش.. وأرى أن يكون حرف جر - من - أو مع.. بدلاً من "على" أسلم في هذا البيت.. وأخرى نصيبها التسويف - حقاً ما قال الشاعر، " فنفس مكرمة، ونفس تزدري ". والتسويف.. هو الوعد الذي لا انجاز له، وإنما هو مطل.. لا يتحقق من ورائه شيء. وفي دنيا الشذوذ كما يصورها الشاعر، يسعد فيها الجاهل، وينال مبتغاه، ويرتفع شأنه، غير أن.. متحكِّم العقل.. حاله الإبعاد والتناسي والبخس، وذلك شأن الحياة.. عبر مسيرتها الطويلة. وإلى الله ترجع الأمور.

جـدة !.

كنت أوثر أن أمضي فـي قراءة شـعر .. شـاعرنا الكبير الأستاذ حمزة شحاتة.. رحمه الله ، حتى أتم ديوانـه المطبوع ، غير أن انشـغالي بأعمـالي حـال دون أمنيتـي ، فآثرت أن أكتفي بما قدمت من قصـائد .. من ديوانه ، وأن تكون خاتمة هذه القراءة .. قصيدته الشـهيرة (جدة) ، وهي مـن عيـون الشـعر الوجدانـي ، وأنهـا لتسـتحق القـراءة والوقوف ، لأنهـا أنمـوذج فريـد فـي الشـعر الحديـث ، بـل وحتى الشـعر القديـم ، لأن صـاحبهـا يتقـن النسـيج المتمـيز فيما ينظم من شعر .. قوي أخاذ ، لأنه شاعر ابتداعـي .. من طراز فريد . وأكثر شعر شحاتة قوي ، بجزالة ألفاظـه وسبكه ونسيجه المتماوج المتدفق ، كأنه يم تتلاطم أثباجـه، ويترادف موجه ، فهو نبض الحياة الدافق المنساب . يقـول شاعرنا في قصيدة – جدة – :

النهــــى بيــــن شــــاطئيك غريـــــق

والهـــوى فيــــك حــــالم مـــــا يفيـــق

ورؤى الحـــب فــــي رحــــابك شـــتى

يســـــتفز الأســــير منهـــــا الطليــــق

ومغــــانيك فــــي النفــــوس الصديّـــــا

ت إلـــى ريهـــا المنيـــــع ، رحيـــق

إيـــــه ، يــــا فتنـــة الحيــــاة لصـــب

عهـــده ، فـــي هـــواك ، عهـــد وثيـــق

ســــحرته مشــــابه ، منـــــك للخلــــ

د ، ومعنـــــى ، مـــن حســـنه ، مســـروق

كـــم يكـــرّ الزمــــان ، متئـــد الخـــط

و ، وغصْـــن الصّبـــا عليـــك وريـــق

ويـــذوب الجمـــال ، فـــي لهـــب الحـــ

ب ، إذا آب ، وهـــــو فيـــك غريـــق

كلف شاعرنا الكبير بحق - جدة - حتى الولـه ،

والحب ، ليس لمظاهر براقة وخلاّبة .. تفتن الرائي وتبهره ، ولكنه حب للذات والتراب ، فالحب لا يتمثل في الجمال الظاهري ، وإنما هو أعماق خفية ، تتمثل في في تأثيرها وأثرها ، فالهوى كامن ، لا تراه إلا عيون المحبين، التي تخترق الحجب ، فتصل إلى الأعماق البعيدة، وليس كل مظاهر الحب وخفاياه تبهر كل النفوس، فالحب فردي في تأثيره وغزوه ومراميه .

حمزة شحاتة .. أحب جدة وهام بها ، يوم كانت مدينة – متواضعة –. يحف بها السبخ من أطرافها ، غرباً وشمالاً وبعض الجنوب . قاسية المناخ صيفاً ، يغطيها بخار البحر ، وهي في الشتاء ربيع ، لانها لا تعرف البرد.

وجدة تختلف عن لداتها من المدن ، فهي ليست عاصمة تجارية قديماً وحديثاً، ولكنها تتميز بهوى فريد .. ندر أن يوجد في غيرها ، ذلك أن أهلها من قديم ذوو قناعة واقتناع ، فلا ترى فيهم من ينظر إلى غيره ، غني أم افتقر ، ولكن كل في شأنه ما يغنيه ، ولست أتحدث عن جدة اليوم ، حيث هذا الخليط العجيب .. من العمالة

الوافدة، التي غيرت صورة الحياة الجميلة ، وعبثت بالمناخ الرومنسي الوادع ، فحولته إلى صخب وفوضى .!

عشق الأستاذ حمزة شحاتة جدة ، وقد جاءها من مكة مبكراً ، فالتقى بأدبائها، وامتزج الفكر ، حيث يسعى أدباء جدة إلى أدباء مكة ، وأدباء مكة إلى جدة، عبر لقاءات ، يدور فيها حديث الأدب .. وطموح الشباب إلى الارتقاء الفكري والنهضوي في الحياة كلها ، وهم يقرؤون أدب مصر والشام والمهجر وما تلاه ، فلا تعليم ولا حياة تذكر بشيء .. مما فيها . ولست ممن يعني بالسياسة وهمومها ، ولكنها خواطر تترى .. حين يأخذ المرء في الحديث عن جانب أدبي ، فتنداح صور الحياة، في ماضيها وحاضرها ، من خلال سبح التصور المنساب .

هذا الهوى .. الذي تحفل به قصيدة (جدة) لأديبنا الكبير .. قلما نراه في الشعر القوي النابض ، وهو هوى صادق ، غير متكلف ، وهو ظاهر .. في هذا التصوير المجلِّي ، الذي ينحته الشاعر من وجدانه ونفسه ، فترى هذا العمق والشفافية الجمالية المنمنمة ، و " الدمقس " والديباج والقز .. يكسو المحبوبة : المعشوقة الجميلة في

عين المحب الوامق ، لانها هوى . إنها درة وبهاء ، غـادة مدلّهة ، تتأبى على المحب ، لانها جمال ، والجمال سطوة وكبرياء ، لانه قيمة ، قبل أن يكون متاعاً .

فالعقل أو العقول ، على الإفراد والجمع ، فالنهى مفردها " نهية " العقول غرقى على شواطىء جدة الهوى والوله ، لانها سكرى الحب . والحب نفسه – يحلم، ولكنه حلم طويل لا يكاد يستيقظ صاحبه.. حتى يعود إلى أحلام معسولة ، يتمنى ألا تبعد عنه ولا تغادره ، ليس هذا التصوير تخييل شاعرية مبدعة ، وإنما هو تعبير عاشق واله ، جذبه الشاطىء الأزرق ونسمات السحر ، والشاعر ساهر مع القمر ، ومع رفاقه ، في ذلك الهدوء الوادع ، يتحدثون عن الأدب قيمه وحديثه والشعراء والحب والجمال ، وهم فتية حالمة بالمجد ، وهائمة نحو الارتقاء والحياة الكريمة ؛ ذات الركائز العلمية والفكرية ، لان العلم ارتقاء بالحياة كلها . ولانه عنوان الأمم المتحفزة إلى المعالي .

هكذا بدأ الشاعر خطابه إلى المعشوقة البلد ، قبل أن ينتقل إلى مصر ، ويرى " غادة بولاق " وينسج لها

خريدتـه الفريـدة ، في وصـف جمالها وبهائها . ويقولـون : " الهوى غلاب " .

والشاعر المحلّق ، يوظـف المعـاني توظيفـاً بديعـاً دقيقاً ، فالحب له الكثير من الرؤاءات ، لأن جوانب جمـال المعشـوقة كـثر ، ورحابهـا تتسـع للتـأمل والوصــف . ونظرات الحب الثرّة ، تثير وتشوق الذي في الأسر ، حين يتغنى به الحر الطليق ، رغم أن الأسير عـادة لا يهمـه إلا حالـه ، وهـو يتـوق إلـى الفكـاك ، غـير أن قـوة الحـب ووصفه.. له تـأثير عليـه لانـه ضـرب مـن السّحر ، لانـه بيان.!

والمغاني : منازلك التي غَنِيَ بهـا أهلوهـا ؛ وهـي في النفوس العطاش ، التي تتوّق إلى الـرّي غـير المتـاح ، لانه كبرياء الدلال ، ذلك الري المعنـوي لعطـاش الهـوى، رحيق ، وهو : ضرب من الطيب .

ويتجـه الخطـاب الـى فاتنــة الشــاعر .. (جُـدة) ، ويوسمها بأنها فاتنة الحياة في كونه العريض ، لانه شـاعر محلِّق في عوالمه . وهو الاسير في حبها ، فقد صبـا فـي هواها .. لأنه عاشق ، وكأنه أخذ على نفسه عهد وثيق ..

لا ينقضه ، أن يكون محباً، وقد تلبس بذلك الهوى، وتلبّس به ، فكان الوثوق .. عن اقتناع ، فهو هوىً غير موقوت، وإنما هو ذو روابط موثوق بها . ومرد ذلك الهوى .. ما تتحلى به المعشوقة من سمات باقيات ، ومعانٍ من ثوابت مرتقبة ومنتظرة ، في جدة ، والدنيا متاع وإن كان قليلاً ، وفي الآخرة للمؤمنين متاع لا ندركه بعقولنا .. ولكنه : ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر " كما في الأثر .

وتمر الليالي والأيام .. على – جدة – ، في بطء وريث ، والمدينة الحالمة.. في أحضان البحر ، ماتزال صبية ، مثل عصن مخضرّ ، تكوّن وريقات خضر لدنة، وهو املود .. طري يميس . لمحات جدة ومحاسنها باقية ، لم تشخ بمرور السنين والأحقاب ، لان في طبعها جمالاً باقياً ، تستمده من ذاتها ومغانيها وحسنها وبهائها ورؤاها وهواها المدلّه ، فهي غانية – أبد الدهر – ، دائمة الشباب والحياة ، ما بقيت الحياة ، وهو خيال شاعر .. محلّق ، بعيد المدى .

وحقاً .. إن الجمال يذوب في لهب الحب ، كما

يقول شاعرنا المجيد . إذا رجع الجمال وجنح إلى الحب .. يذوب ، لانه يحترق فيذوب. ويبقى الحب غريقاً في (جدة)، فلا تحترق ولا تذوى غصونها اليانعة المخضرة ، لانها مانحة الحب ، ولانها جنّة .

وتمضي القصيدة الباهرة .. في نسيجها ورؤاها وإبداعها ، تتقد معانيها ومغانيها ، في تجديد معان ، وروعة بناء ، واتّساق ألفاظ ، تمضي تقدم الصور الجمالية المتجددة في قوة بناء ، وجمال أداء بديع .

يمضي الشاعر يتحدث عن جدة ، محلقاً بخياله الخصيب .. في وصف بديع نادر . وما أجمل وصفه للعروس ، بأنها عادت ملفوفة بالجمال في ظلام الليل ، حتى لا تكاد ترى وحولها النسيم العليل الرقيق يحوط بها . وأن الجمال الذي لفها، اقبل كاقبال المحب الواله ، مندفعاً نحو من يحب ، لكن العقوق يثنيه عن بلوغ اربه. ولا أظن . لان العقوق مصدره الغادة الحسناء ، وربما كان تأدبياً وكبرياء الجمال ، وربما عقوق بعض الناس ، الذين خذلوا الشاعر ، فصدوه عن هواه ، غير أنه .. مع كل الاحداث التي تقاوم شوقه العارم لا ينثني عن ذلك الهوى

الباذج ، لانه في أعماقه وفي أوردة فؤاده ، لانه محب صادق الود والهوى .

ويصور الشاعر ان الجمال الذي أقبل فلفّ الجميلة بمحاسنها ونبضها وحبها، هذا الجمال ، جاء محمولا على الموج : فهو إذن جمال نقي صاف ، غير ملوث ولا متصنع ، وقد شبهه الشاعر بأغنية الشط ، عبر أداء رشيق ، ليطرب المتنزهين والمقيمين وهواة الجمال ، الذين يسعون إلى الشط طلباً للاستروواح والحلم، وهو بين زرقتي الافق والبحر .. الذي يحتضن في حلم لا نهائي ، لانه عناق وله .. لا استيقاظ له ، في ليل ليس له فجر . ليس ليل أهوال وضيق وكرب ، ولكنه ليل العاشقين ، وما اقصره وأوجزه واسرع ذوبانه ومضيه وانقضائه .

ذلك الجمال ، الذي أصبح أغنية الشط ، وجميلة هي أغاني الشواطىء ، عند من يعيها .. ومن يعيشها ، لاسيما في البحر ، وهينة الموج ، وفي سجا الليل . الجمال إذن أغنية ونغم .. يسكر القلوب ، لانه لحن أغنّ ، فهو مصبّح ممس ، يُصبّح ويمسّي ، ذانك وقتا الانتشاء عند ذوي المزاج الرائق !.

وذاك النغم المنسـاب ، وهـو جمـال مـن الجمـال ، رقيق وعذب ، وهو عنيف مثل الموج العاتي ، وفيه كذلك امتداد .. مثل الافق البعيد المدى ، وهو كذل بريق ، ليـس قاتما ولا معتما ، فهو صنو البحـر فـي المزايا والتغير ، اضطراباً وبهاء رونق وجاذبية وإغراء .

وفي النغم الجمالي .. الصمت ، الذي يروق النفس ولغات .. من معطيات الخيال العميـق . تلك لغـى العيـون والاشارات والسكون والحركة الصامتة.. والهمس والسـبح في تخيل باذخ .

ولا يقف خيال الشاعر عند تلك الحدود .. مـن صور الجمال ، بل يمتد لأنه جمال منساب ثـري وجلـي ، فيه من البدر الزهو والاشعاع الخافق ، كسنا الفجر ، وهما الزهو والسناء ، ينقل عنهما الفضاء العميق والبعيد المدى، كأنه يروي أحاديث أحقاب مضت وخلت .. وهذه الصـور في محصلتها – خفقة – أو طاقة رائعة مـن الشـعر ، ذات نظام بديع ودقيق .

عـدت ملفوفـة بـــه ، فـــي دجـــى الليـــ

ل ، وقـــد هفهـــف النســـيم الرقيـــق

مقبــــلاً كـــــالمحب ، يدفعــــــه الشــــو

ق ، فيثنيــــه عــــن منــــاه العقـــوق

حملتــــــه الأمـــــواج أغنيــــة الشَـــــــ

ط ، فـــــأفضى بــــــه الأداء الرشـــــيق

نغمـــــــاً ، تســــكر القلـــــوب حميّـــــا

ه ، فمنــــــه صبوحهـــــــا والغبـــــوق

فيـــه : مـــــن بحـــرك الــــترفّق والعنـــــ

ف ، ومـــــن أفقـــك المـــدى والـــــبريق

ومــــن الليـــل – صمتــــه المفعــم النفـــــ

س لُغـــــيً ، زانهــــا الخيـــــال العميـــق

ومـــــــن البــــــدر ، زهـــــوه وســـــــناه

روايـــــا عنهمـــــا الفضـــــاء الســـحيق

ويمضـي الوصـف الممـرع الشـفاف الدقيـق ، مـن ذلك الخيال المجلّي ، لانـه لغـة شـوق وهـوى ، عنـد فنـان

متقن لفنه ، وصادق في هـواه ، لذلـك جـاء سلسبيل . انـه مـن أرقـى نسيج الغـزل العـذري ، يرقـى خيـال الشـاعر بوصفه إلى أبعاد .. لا يرقى إليها إلا خيال شـاعر ملهـم ، يذوب هياماً مبرّحا ، وشوقاً عارماً .

ويمتح الشاعر المحلّق المبدع حمزة شحاتة .. مـن أعماق نفسه الخصبة ، ذلك الدّر المنضود . كـل ذلـك فـي سبيل ومـن أجـل – جُدة – الهـوى والشـباب ، ليبقـي هـذا الشعر الحي الصادق .. مـا بقيـت الحيـاة ، ومـا بقـي ذوق يلتذّ بهذا الجنـي الممـرع ، لانـه شـعور ، نظمتـه العبقريـة الفذّة قريضاً يطاول الزمن ، لانه لُغىً باقية .. بقاء العربية الثرة ، لانها لغة شاعرة .. كما يقول العبقري العقاد :

أنـــت دنيـــا ، رفّاقـــة بمنـــى الـــرو

ح ، وكـــون بـــالمعجزات نطـــوق

رَضِـــيَ القيـــد ، فـــي حمـــاك فـــؤاد

عـــاش كـــالطير ، دأبـــه التحليـــق

مـــا تصبّتـــه قبـــل حبـــك يـــا جـــدّ

ة ، دنيـــا بســـحرها ، أو عشـــيق

منهجـــي فيــــه ، منهـــج الطــــائر الأ
ليــف ، يـــنزو بـــه الجنـــاح المشـــوق
فــــإذا هـــــم أشـــــغلته فـــــروض
مــــن هـــواه ، وأثقلتـــــه حقـــوق

في تلك الأبيـات معطيـات شـتى . فهـي دنيـا ، أي (جـدة) ، خافقـة بهـوى الـروح، وهـي كـون ، ينطـق بـالمعجزات . والشـاعر قبـل راضيـاً قيدهـا ، وارتضـاء فؤاده، الذي يشبه الطائر .. محلقاً ، يـأبى القيـد والسـجن ، لانه أحب ومحب وامق . وهو لم يصب إلى جمال من قبل في الدنيا العريضة ، ولا عشـيق حـدَّ مـن حركتـه وقيـده . ومنهجه في الحب الـذي تحوّل إلـى أسـر . منهـج الطـائر الأليف ، يثب به الجنـاح المشـتاق . وحيث إن الطـائر قـد رضي القيد ، فهو قد استسلم طائعا مختاراً ، فالشوق قيّـده بقيد معنوي وإن بدا : كأنه ذهبي .. فيه يواقيت وزبرجد ، والمعنوي أعمق مذهباً وأغنى.

وحين تتحرك القوادم والخوافي ، كما يعبر بشار ، لكـي يحلّق الجناح عاليـاً ، فانـه خشـية البعـد ،.. يـتراجع

التزاماً بما ارتضى من البقاء على الحب وأداء واجب الطاعة وفروضها ، فترك هوى آخر ، لانه مثقل بحقوق لا تنتهي ، وليس عنها محيد ولا انطلاقٍ ، فهو في أسر دائم ، ولكنه أسر محبب وعذب ، لانه هوى ، والهوى شَهد ، في صفاه وتلقلباته وشجاه وآلامه وحتى مرارته وعلقمه .!

ويمضي سبح الشاعر .. يغازل المعشوقة ، في هذا الخطاب الشعري القوي والعذب ، كأنه نازح من حرمان ؛ وكأنه وجد ضالته .. على ذلك الشاطيء الوادع، والمناخِ العليل ، والأفق الساحر ؛ وحوله رفاق .. يثيرون فيه بحواراتهم ومتلتقاهم الليلي .. كوامن نفسه الشرود ، ويحركون فيه اشجانه وحرمانه وظلمه ، فيتحدث إلى التي اتخذها سلوى ؛ تنصت إلى شجوه وآلامه وحزنه ، رغم انه قوي ، لا تلين قناته ، ولا تذل نفسه ، فلا يداجي ، ولا يستسلم .. ولا يضعف ، لانه أبي . يفرغ الشاعر همومه في هذا الشعر الزاخر بالرؤى ، نحسبه غزلاً ، وهو شجو وشكوى.. تحمل معاني الحب والغرام .. في صور شعرية يحسبها القارىء نسيباً وهوى ، وهي في حقيقتها حرمان

ووقد نفس شموخ ، تتعالى عن الصَّغار ، وتتوّق إلى المعالي ، وتنشد الحق والعدل والجمال والمروءة والوفاء والايثار والحياة الكريمة . وتأبى الظلم وغمط الحقوق والتجني والحرمان والاستبداد .

يمضي الشاعر يحلق في خطابه لجدته ، لا يشغله شيء عنها ، فقد التصقت نفسه بها ، فعشق عبقها ، في ترابها الرفّاف بالحب والهوى ، لانه " تربة غزلة " ، كما يصف الزيدان رحمه الله المدينة بأنها كذلك[1] . وكل تربة تنبت الحب ، فهي غزلة .. في كل أصقاع الأرض . والأدب يوحي بالغزل ، لانه جمال معنوي وحقيقي .! يقول شحاتة :

جدّتي ، أنت عالم الشعر والفتـ

ـنة يروي مشاعري ، ويروق

تتمشى فيك الخواطر سكرى

ما يحس اللصيق ، منها اللصيق

---

[1] محمد حسين زيدان ، كاتب مجيد ، من المدينة المنورة ، توفى يوم ٢٥/١٠/١٤١٣هـ / ٢/٥/١٩٩٢م .

كلهـــا هـــائم بعالمـــه المخـــــ

مـــور ، تهفـــو بـــه شـــذاه العبيـــق

تتجـــافى ، مـــا يـــألف الخـــا

طـــر فيـــه ، ولا تديـــن الفـــروق

فـــإذا أومـــض الخيـــال بذكـــرا

ك تداعـــت ، بعـــض لبعـــض يتـــوق

وحّـــد الحـــب بينهـــا سـبلَ الحـــ

ب ، فمـــا عـــاف ســـابقاً مســـبوق

ويتصل خطاب الشاعر .. لجدّته ، ومنذ المقطع السابق ، نجد نبرة حوارية.. تأخذ مساراً جديداً ، حين يتلفّت إلى من حوله .. في هذه المدينة وإلى الحياة في طابعها السائر ، فالناس مشغولون ، وإن اختلفت الشواغل والأهداف ، وهي رؤية متأمل ، يعيش ويضطرب في الحياة ، فيتاثر .. بما يرى ويسمع ، فينعكس ذلك في أدائه الشعري ، لانه انسان ، تعروه حياة ، ويكتنفه شعور .. مغاير لمشاعر الكثير من البشر ، لانه شاعر . والحياة صراع دائم ، بين الحق والباطل ، والغنى والفقر ، والخير

والعبث ، والصدق والكذب ، والخوف والرجاء ، والأمل واليأس . ونهاية ذلك كله الموت ، وكفى به واعظاً .

جدّنـــي ، لا التـــي يحـــب الخليـــو
ن ، شـــقاء ، عـــذب ، وأســـر أنيـــق

وصـــراع بيـــن الحجـــى والأمـــاني
يُطلـــق الحـــسّ ، تـــارة ويعـــوق

وســـهاد ، يهيـــم فـــي تيهـــه العقـــ
ل ، ويعمـــى عـــن هديـــه التوفيـــق

وصـــدى ، مـــا يَبْلـــه الواكـــف الهـــا
مـــي ، وقلـــب ، لـــم تسـتثره الـــبروق

أنـــت مرتـــاد وحدتـــي ، إن تبتلـــ
ت ، وإن شـــئت ، عـــالم مطـــروق

لـــي مـــاضٍ ، لـــم أنســـه فيـك قـد غـص
؛ بشـــجو ، غروبـــه والشـــروق

تتنـــاجَى أصدقـــاؤه ، فـــي روابيـــ
ن ، فأنفاســـها عليـــه شـــهيق

معـــولاتٍ ، ألـــوى بمطلبهـــا الأيـــ
ن ، فأنفاســـها عليـــه شـــهيق

متثقلات حـــيرى ، تطيــف بهـــا الوحـــ
شــة ، والضعـــف عـــاجز ، مـــا يُطيــق
كيــــف أنســــيته ، وضيّعـــت ذكــــرا
ه ؟ وهـــل يُســـلم الرفيـــق الرفيـــق

حـوار مـوّار ، فيـه مـا يشـبه العتـب ، تتتـالى فيـه الصور الحيرى ، لأن الشـاعر تمتلـيء نفسـه بالحرمـان ، فيضج بشكوى شبه مكتومة ، عبر حروف الكلمات تفضـي بمعان زاخرة بـألم ممـض ، يوشـك أن يُصبـح يأسـاً، لانـه ينبع من نفس تتقد هماً ، وتترع حزنـاً غـامراً ملتهبـاً ، ولا سبيل أمام الشاعر المتأبي إلا أن يفرغ وجده المجـروح .. فـي كلماتـه الموقدة ، مـن أنفاسـه المتقـدة . وسـنرى مـا تترعـه.. الكلمـات فـي المقطـع الأخـير مـن هـذه القصيـدة المتماوجة المتدفقة بالمعـانـي الدهّاقـة ، وكـأني بالشـاعر .. يعمق في نفسه قول الجاحظ :

لئـــن قدّمـــت قبلـــي رجـــال فطـــا
لما مشيت علـى رِسْـلي فكنـت المقدمـا

ولكــن هـــذا الدهــر تــأتي صروفــه

فتـــبرم منقوضـــاً وتنقـــض مبرمـــاً

وشاعرنا ذو رؤية فلسفية غائمة ، مما نـال ومـا أحس ورأى ، فترجم حاله في قصيدة موشاة بصور غزلة؛ فيما صنع من نسيج يشبه الغزل ، في بلد أحبه ، بل مدينة، رأى في شاطئها ما يبثه لواعج نفسه المهمومة ، حين أحس بما يشبه الارتياح لمناخها وانسامها وصحبة فيها، فأخذ يسرّي عن نفسه .. بهذه السبحات الشعرية ، لتحمل عنه ما يلوب في نفسه من شجى غامر ، وفي البوح بعض الراحة.. بانداياح الزفرات المكظومة في أعماق نفس شاعرة . ويصب الشاعر عتابه على (جدة) ، وهي سبل تنفيس .. على نحو ما ، وهذا الخطاب يعني الحياة والناس ، ولكي يظل إباء الشاعر ، تتدفق الصور .. في عتاب فيه قسوة، لأنه صادر عن نفس ينفعل فيها الألم، حتى ترسب فيها وتغلغل، لانه لم يجد سبيله إلى الانفراج ، يتحول به العسر يسراً ، وتلكم الحياة ، الحرمان عنوانها ، لعل ذلك للعبرة ، وقد قال المتنبي :

ذو العقــل يشــقى فــي النعيــم بعقلــه

وأخــو الجهالــة فــي الشـــقاوة ينعــم

فالحرمان .. امتحــان ، والغنـى .. امتحـان .. فـي كدح الحياة وكبدها ! وهكذا يتوجه الخطـاب الشـعري إلـى جدة ، وباطنه الحياة في حركتها .. وتقلباتها ومتناقضـاتها . ودعونا نستمع إلى الشاعر ، لكي نرى المعـاني الـثرة فـي كلماتـه ، التـي أجـاد سبكها ونسجها ، فـي بلاغـة تغــري بالتأمل العميق ، لانه فن رفيع قوي.

و(جـدة) الجمـال والبهـاء والحـب ، لا تهبــط إلــى الغــدر والجمـود والنكـران ، غــير أن الشــاعر يوظـــف معانيـه.. ليصـل إلـى مـا يريـد أن يقـول مـن خـلال شـعره القـوي الممتـع .. حتـى فـي شكواه ومــا يحمـل مـن آلام ولوعة، وقديماً قال ابن مالك في الفيته النحوية

وكلمة بها كلام قد يؤم

ونتــأمل فــي الأبيــات الآتيــة .. نبــض شـــاعرنا المتدفق، في مســار قصيدة – جدة – :

أهــو الغــدر ميســـم الحســـن فـــي شـــر

عـــك ، والعهـــد فـــي هـــواك عقـــوق

قد يكون الغدر من صور الحسن والجمال ؛ ولكني أزكي جدة عنه !

حبــذا أنــت ، لــو وقيــت واجملــ

ولــم ينتهــك لديــك الصديــق

فوفـاء الحبيـب أسـمى معـاني الحســ

ن ، والطّهــر بالجمــال خليــق

بيــن مــن تمنحيهــم وردك الســا

ئــغ قــوم ، ودادهــم معــذوق

جدة ، ليست خوانـة ، وهـي لا تمـاطل فـي أداء الدين ، وليس هذا رفضاً لتهم الشاعر ، ولعله تنبيه .. لئلا تتعـالى في التدلـه ، فـلا تنسـى محبهـا ، ولا تتعـالى ، ولا تجنح للغو والنكران ، والنقـائض مـن طبـع الحيـاة ، وفـي الموازين المختلة : يستوي التقى والفسوق " . والذين أتيـح لهـم ود ، ربمـا كـان مغتصبـاً علــى أن ودادهـم ممـزوج بسواه، فهو غير صـاف وغير مخلص فيه ، فمنطـق القـوة يقلب الموازين ، وتختلط المعـايير ، وكمـا نعبر – تختلـط الأوراق .!

مـــن مياســـير جـــاهلين أضـــاعو

ك ، وكـــل مـــا يشـــين علـــوق

ومهـــازيل ، كالضفـــادع فـــي الظلـــ

مـــة ، أقصـــى مـــا يســـتطعن النقيـــق

يشـير الشـاعر فـي عنـف إلـى مـن أسـماهم الموسرون، وهم الأغنياء ، جهلـة فرّطـوا فـي واجـب الجميلة ، وتعلقوا بالشائن .. الذي لا خير فيـه . ولنستمع إلى الشاعر في الأبيات التالية ، في وصفه لشريحة .. لا تأبه بالقيم والوفاء والواجب والحق . وهم لا يحسنون إلا الصراخ .. الذي يشبه النقيق ، وهم بعيد عن الطموح ، ومعالي الأمور ، ذلك أنهم أسرى عيش وارف ناعم ، ولا يأبهون بشيء سـواه ، ذلك أنه لا يعنيهم ، فهم متعلقون بالمباذل والحياة الرخيصة ، ولا يؤدون حقوقك ، فأصبحوا مدينين ومتهمين .

قـــادهم أخـــرق الخطـــا للدنايـــا

وهـــو فيهـــم ؛ بمـــا جنـــاه مســـوق

وشـــباب ، غراســـه مـــا زكـــت فيـــ

ك – ولا غـــرو – فـــالغراس العـــروق

لعلعـــت صرخـــة النهـــوض حواليـــ

ك ، وأصواتهـــــم لديـــــك نعيـــــق

مـــن لهـــم بـــالطموح ، والجـــدّ مـــا أضــــ

نـــك مســـعاه ، والحيـــاة مضيـــق

هـــم أســـارى منـــاعم العيـــش ، والحــــ

ق عليهـــــم ، ممـــــا أذيـــــل حنيـــــق

ويأخذ الشاعر في سياق خطابه الجدي يفنّد مزاعم المهومين والادعياء بجانب آخر معذّب ، مخلص وفي ، فالحب الزائف هوان ، وهو أمل ضائع .. من صفاقة وجه.. لا يبالي ، لأنه غافل وفاقد الحس والذوق .

ويعتذر الشاعر إلى (جدة) ، ويعلن إليها أنه حرّ ، وأن قلبه شارق بالجراح ، وأنه رجل جاد ، وأن الهوى يؤثر العزّ ، وآخرون خلقوا لغير الجد والعزّة والمروءة، ومع ذلك .. لهم الصدارة وهم أذلة جبناء ، لا يكادون

يبينون ، فهم صفقو الوجوه ، فقد كانوا لغير العزة والحرية والجد والسمو والشجاعة والصدق ووفاء الحب ، وحب الوفاء .. والحياة الكريمة.

كـم مُعَنًّى مثلي ، يطارحك الحـ
ـب ، فينبو به السبيل الزليق

ودعيَ ، يصطك في فمه القو
ل عِثاراً ، مكانه مرموق

أمن العدل أن يشاركني فيـ
ـك جبان ، عما أريغ فروق

وقصاراه ، في هواك هوانا
أمل ضارع ، ووجه صفيق

لا تلومي ، على عتابك حراً
قلبه منك ، بالجراح شريق

أنا للجد ، والهوى يؤثر العـ
ـزّ ؛ وغيري لغيره مخلوق

والغرام المباح شر الجنايا
ت ، فهل يقتع الجمال النزوق

صحيح أن الهوى غير المقيد ، وغير الملتزم ،

من أكبر الجنايات ، فهل هذه الصور من الهوى المباح .. يرتضي ذلك الجمال النزق .. غير المحافظ ؟ والجواب لهذا التساؤل الشاعري ، أن الجمال مادام غير ملتزم، وغيرٌ محافظ ، فلا خير أن يرضى ويقبل الغرام المباح ، تلك إذن معادلة طبعية ، نعم يقبل .! فالجنايات يقابلها النزق والسفه والعبث الرخيص الدنيء .

ولعل القارىء العزيز .. يقارن بين قصيدتي (مكة) للشاعر السيد محمد حسن فقي ، و(جدة) .. التي أنهى بها هذه السطور ، وتلك، أي قصيدة مكة .. في (ص) " ٢١١ " من كتابي : " الصَّخر والأظافر " ، الذي صدر .. في هذه الأيام.!



إصدارات النادي الأدبي الثقافي بجدة

● **الاصدارات التي كانت من ١٣٩٥ إلى ١٣٩٩هـ :**

١ - قمم الألمب « شعر » للاستاذ محمد حسن عواد (نفد) ١٣٩٥هـ.

٢ - الساحر العظيم « ملحمة شعرية » للأستاذ محمد حسن عواد (نفد) ١٣٩٥هـ.

٣ - عكاظ الجديدة « شعر » للأستاذ محمد حسن عواد (نفد) ١٣٩٦هـ.

٤ - الشاطئ والسراة « شعر » للأستاذ محمود عارف، ضم إلى مجموعته الكاملة ١٤٠٤هـ.

٥- عالم البحار« الأسماك والطيور والجزر في البحر الأحمر » العقيد متقاعد صالح بن مشيلح (نفد) ١٣٩٦هـ.

٦ - من شعر الثورة الفلسطينية « شعر » للأستاذ أحمد يوسف الريماوي (نفد) ١٣٩٦هـ.

٧ - أنين وحنين « شعر شعبي » للأستاذ الشريف منصور بن سلطان ١٣٩٧هـ.

٨ - محرر الرقيق « سليمان بن عبد الملك » للأستاذ محمد حسن عواد (نفد) ١٣٩٧هـ.

٩ - من وحي الرسالة الخالدة « مقالات إسلامية » للأستاذ محمد علي قدس (نفد) ١٣٩٩هـ.

١٠ - طبيب العائلة ، د. حسن يوسف نصيف(نفد) ١٣٩٩هـ.
١١ - المنتجع الفسيح « حلم عربي » للأستاذ محمد حسن عواد (نفد) ١٣٩٩هـ.
١٢ - مذكرات طالب، ط ٣، للدكتور حسن يوسف نصيف (نفد) ١٣٩٩هـ .

● **الكتب التي صدرت من عام ١٤٠٠هـ :**

١ - ورد وشوك، ط٢ « مطالعات أدبية » للأستاذ حسن عبد الله القرشي ١٤٠٠هـ.
٢ - شمعة على الدرب « مقالات أدبية » للدكتور عارف قياسة ١٤٠١هـ.
٣ - في معترك الحياة « مقالات ونقد » للأستاذ عبد الفتاح أبو مدين ١٤٠٢هـ.
٤ - أطياف العذارى « شعر » للأستاذ مطلق مخلد الذيابي ١٤٠٢هـ.
٥ - كبوات اليراع « الجزء الأول، تصويبات لغوية » للشيخ أبي تراب الظاهري ١٤٠٢هـ.
٦ - الوجيز في المبادئ السياسية في الإسلام، للأستاذ سعدي أبو جيب ١٤٠٢هـ.
٧ - أوهام الكتاب « تصويبات لغوية » للشيخ أبي تراب الظاهري ١٤٠٢هـ.

٨ - علي أحمد باكثير، حياته وشعره الوطني والإسلامي للدكتور أحمد السومحي ١٤٠٣هـ.

٩ - عندما يورق الصخر« شعر » للأستاذ ياسر فتوى ١٤٠٣هـ.

١٠ - الكلب والحضارة « قصص قصيرة» للأستاذ عاشق الهذال ١٤٠٣هـ.

١١ - اغتيال القمر الفلسطيني «شعر» للأستاذ أحمد مفلح ١٤٠٣هـ.

١٢ - شعر أبي تمام « دراسة أدبية» للأستاذ سعيد مصلح السريحي١٤٠٤هـ.

١٣ - حروف على أفق الأصيل « شعر» للأستاذ حمد الزيد ١٤٠٤هـ.

١٤ - شواهد القرآن - الجزء الأول- للشيخ أبي تراب الظاهري ١٤٠٤هـ.

١٥ - أريد عمراً رائعاً « شعر» للأستاذ عبد الله محمد جبر ١٤٠٤هـ.

١٦ - المجموعة الشعرية الكاملة للشاعر محمد إبراهيم جدع ١٤٠٤هـ.

١٧ - الذيابي تاريخ وذكريات - إعداد الشريف منصور بن سلطان ١٤٠٤هـ.

١٨ - بقايا عبير ورماد « شعر » للأستاذ محمد هاشم رشيد ١٤٠٤هـ.

١٩ - محاضرات النادي - الجزء الأول - ١٤٠٤هـ.

٢٠ - من أدب جنوب الجزيرة « دراسة » للأستاذ محمد بن أحمد العقيلي ١٤٠٤هـ.

٢١ - غناء الشادي « شعر » للأستاذ مطلق مخلد الذيابي ١٤٠٤هـ.

٢٢ - التشكيل الصوتي في اللغة العربية - للدكتور سلمان العاني ١٤٠٤هـ.

٢٣ - ترانيم الليل « المجموعة الشعرية الكاملة » للشاعر محمود عارف (جزءان)، طبع في عام ١٤٠٤هـ.

٢٤ - المتنبي شاعر مكارم الأخلاق - للأستاذ محمد بن أحمد الشامي ١٤٠٤هـ.

٢٥ - هموم صغيرة « أقاصيص » للأستاذ محمد علي قدس ١٤٠٤هـ.

٢٦ - نغم وألم « شعر » للأستاذ الشريف منصور بن سلطان ١٤٠٥هـ.

٢٧ - الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية «دراسة» للدكتور عبد الله الغذامي ١٤٠٥هـ.

٢٨ - أحبك رغم أحزاني « شعر » للدكتور فوزي سعد عيسى ١٤٠٥هـ.

٢٩ - أمواج وأثباج - ط٢ « مقالات نقدية » للأستاذ عبد الفتاح أبو مدين ١٤٠٥هـ.

٢٩ - أحاديث « مقالات ثقافية » للدكتور محمد سعيد العوضي ١٤٠٥هـ.

٣٠ - محاضرات النادي « الجزء الثاني » ١٤٠٦هـ.

٣١ - التراث الثقافي للأجناس البشرية في أفريقيا « دراسة » للدكتور عبد العليم عبد الرحمن خضر ١٤٠٦هـ.

٣٢ - فلسفة المجاز « دراسة لغوية » ط٢ - للدكتور لطفي عبد البديع ١٤٠٦هـ.

٣٣ - بكيتك نوارة الفال ، سجيتك جسد الوجد « شعر » عبد الله عبد الرحمن الزيد ١٤٠٦هـ.

٣٤ - عبقرية العربية « دراسة لغوية » ط ٢ - للدكتور لطفي عبد البديع ١٤٠٦هـ

٣٥ - التجديد في الشعر الحديث « دراسة أدبية » للدكتور يوسف عز الدين ١٤٠٦هـ.

٣٦ - مصادر الأدب النسائي « مشروع دليل للأديبة العربية » للدكتور جوزيف زيدان ١٤٠٦هـ.

٣٧ - محاضرات النادي - الجزء الثالث ١٤٠٧هـ.

٣٨ - دليل كتاب النادي - « رصد ببلوجرافي لإصدارات النادي حتى عام ١٤٠٥هـ» ١٤٠٧هـ.

٣٩ - التضاريس « شعر » للأستاذ محمد عواض الثبيتي ١٤٠٧هـ.

٤٠ - ٤ صفر « رواية » للأستاذة رجاء عالم ١٤٠٧هـ.

٤١ - علم اجتماع اللغة - للدكتور أبي بكر باقادر ١٤٠٧هـ.

٤٢ - ديوان علي دمر - المجموعة الشعرية الكاملة ١٤٠٧هـ.

٤٣ - أقضية وقضاة في الإسلام - للدكتور كمال محمد عيسى ١٤٠٧هـ.

٤٤ - أحبك ولكن « قصص قصيرة » للأستاذة مريم محمد الغامدي ١٤٠٨هـ.

٤٥ - وداعاً هالي « دراسة علمية عن مذنب هالي » للدكتور محمد عبده يماني ١٤٠٨هـ.

٤٦ - علم الأسلوب « دراسة نقدية » للدكتور صلاح فضل ١٤٠٨هـ.

٤٧ - مدخل إلى الشعر الحديث « دراسة نقدية » للدكتور نذير العظمة ١٤٠٨هـ.

٤٨ - محاضرات النادي - الجزء الرابع ١٤٠٨هـ.

٤٩ - محاضرات النادي - الجزء الخامس ١٤٠٩هـ.

٥٠ - محاضرات النادي - الجزء السادس ١٤٠٩هـ.

٥١ - جزر فرسان - للعقيد متقاعد صالح بن محمد بن مشيلح الحربي ١٤٠٩هـ ، «طبعة ثانية ».

٥٢ - محاضرات النادي - الجزء السابع ١٤٠٩هـ.

٥٣ - اللغة بين البلاغة والأسلوبية « دراسة نقدية » للدكتور مصطفى ناصف ١٤٠٩هـ.

٥٤ - شواهد القرآن - الجزء الثاني - للشيخ أبي تراب الظاهري ١٤٠٩هـ.

٥٥ - الفكر السيكولوجي « دراسة أدبية» للدكتور حمد المرزوقي ١٤٠٩هـ.

٥٦ - مورفولجيا الحكاية الخرافية « ترجمة» للدكتور أبي بكر باقادر والدكتور أحمد نصر ١٤٠٩هـ.

٥٧ - طه حسين والتراث « مقالات أدبية» للدكتور مصطفى ناصف ١٤١٠هـ.

٥٨ - ذاكرة لأسئلة النوارس « شعر» للأستاذ عبد الله الخشرمي ١٤١٠هـ.

٥٩ - قراءة جديدة لتراثنا النقدي « بحوث نقدية لعدد من النقاد » جزءان ١٤١١هـ.

٦٠ - حديث القلم « مقالات أدبية» للدكتور محمد رجب البيومي ١٤١١هـ.

٦١ - محاضرات النادي - الجزء الثامن ١٤١١هـ.

٦٢ - الوحوش للأصمعي ، تحقيق الدكتور أيمن محمد علي ميدان (كنوز التراث) ١٤١١هـ.

٦٣ - في مفهوم الأدب لتردوروف « ترجمة » الدكتور منذر عياشي ١٤١١هـ.

٦٤ - في نظرية الأدب عند العربي - للدكتور حمادي صمود ١٤١١هـ.

٦٥ - في النص الأدبي « دراسة أسلوبية إحصائية » للدكتور سعد مصلوح ١٤١١هـ.

٦٦ - شعر حسين سرحان « دراسة نقدية » للأستاذ أحمد عبد الله صالح المحسن ١٤١١هـ.

٦٧ - محاضرات النادي - الجزء التاسع ١٤١١هـ

٦٨ - محاضرات النادي - الجزء العاشر ١٤١١هـ.

٦٩ - حكم الله في الصيد وطعام أهل الكتاب - ط٢ - للأستاذ مختار أحمد العيساوي ١٤١١هـ.

٧٠ - خصام مع النقاد « مقالات في النقد والأدب» للدكتور مصطفى ناصف ١٤١١هـ.

٧١ - لم السفر ، نبوءة الخيول « شعر » للأستاذ حسين عجيان العروي ١٤١٢هـ .

٧٢ - ثقافة الأسئلة « مقالات في النقد والابداع» للدكتور عبد الله الغذامي١٤١٢هـ.

٧٣ - أدبنا في آثار الدارسين « بحوث في القصة والشعر والنقد » للدكاترة منصور الحازمي، محمد العيد الخطراوي ، عبد الله المعطاني ١٤١٢هـ.

٧٤ - تهذيب اللسان وتقويم البنان « تصويبات لغوية » للأستاذ مختار أحمد العيساوي ١٤١٢هـ.

٧٥ - قطرات المداد « مقالات في الأدب » للدكتور محمد رجب البيومي ١٤١٢هـ.

٧٦ - ديوان « عمرو بن كلثوم » - ، تحقيق الدكتور أيمن محمد علي ميدان.

٧٧ - كتابة القصة القصيرة، « ترجمة » » للدكتور مانع الجهني - ١٤١٣هـ.

٧٨ - تجربتي الشعرية، للأستاذ فاروق شوشة- ١٤١٢هـ.

٧٩ - علامات استفهام في النقد والأدب، للدكتور علي شلش - ١٤١٢هـ.

٨٠ - منهج الإسلام في العقيدة والعبادة والأخلاق ، للدكتور أحمد عمر هاشم-١٤١٣هـ.

٨١ - محاضرات النادي ، الجزء (الحادي عشر) - ١٤١٣هـ.

٨٢ - مفاهيم إيمانية ، للدكتور كمال عيسى - ١٤١٣هـ.

٨٣ - أدب الأطفال، للأستاذ عبد التواب يوسف - ١٤١٣هـ.

٨٤ - السكر المر ، رواية قصيرة، الدكتور عصام خوقير - ١٤١٣هـ.
٨٥ - القلب الفاضح، قصص عالمية، ترجمة خالد العوض - ١٤١٣هـ.
٨٦ - محاضرات النادي الجزء (الثاني عشر) - ١٤١٣هـ.
٨٧ - تأملات في سورة (آل عمران) للدكتور حسن باجودة - ١٤١٣هـ.
٨٨ - بين الأدب والسياسة للدكتور عبد الله مناع - ١٤١٣هـ .
٨٩ - النشاط التجاري لميناء جدة خلال الحكم العثماني الثاني للدكتور مبارك المعبدي - ١٤١٣هـ - رسالة جامعية -.
٩٠ - مرافئ الأمل - للدكتور محمد العيد الخطرواي - ١٤١٣هـ .
٩١ - حكايات المداد - (قصص للأطفال) للأستاذ عبده خال - ١٤١٣هـ .
٩٢ - أحوال الديار - (مجموعة قصصية) للأستاذ عبد العزيز مشري.
٩٣ - عبد العزيز الرفاعي أديباً ، الدكتور محمد مريسي الحارثي.

٩٤ - المعجم المفسر لألفاظ النبات في القرآن الكريم، للأستاذ مختار فوزي - ١٤١٤هـ.
٩٥ - المعارضات الشعرية دراسة تاريخية نقدية للدكتور/ عبد الرحمن اسماعيل السماعيل.
٩٦ - طاقات الابداع للدكتور عالي سرحان القرشي.
٩٧ - نظرية التلقي ترجمة عز الدين اسماعيل.
٩٨ - تقليب الحطب على النار في لغة السرد للدكتور سعيد مصلح السريحي.
٩٩ - نظرية الأجناس الأدبية - تعريب : عبد العزيز سبيل - مراجعة : حمادي صمود
١٠٠ - بين معيارية العروض وإيقاعية الشعر . الدكتور عبد المحسن القحطاني .
١٠١ رائحة المدن - قصص قصيرة - جار الله الحميد.
١٠٢ - حوار الأسئلة الشائكة . محمد علي قدس .
١٠٣ - إنتاج الوهم أو عباءة الثقافة - جاسر الجاسر.
١٠٤ - أظافر صغيرة .. وناعمة « قصص قصيرة » فهد العتيق.

● **كتب متخصصة :**

سلسلة إسلاميات « محاضرات في العقيدة والدين والثقافة الإسلامية » خمسة كتب ١٤١٠هـ.

● **علامات « كتاب دوري في النقد الأدبي »**

١ - الجــزء الأول - المجلد الأول - ذو القعدة ١٤١١هـ.

٢ - الجــزء الثــاني - المجلد الأول - جــمــادى الآخــرة ١٤١٢هـ.

٣ - الجزء الثالث - المجلد الأول - شعبان ١٤١٢هـ.

٤ - الجزء الرابع - المجلد الأول - ذو الحجة ١٤١٢هـ.

٥ - الجزء الخامس - المجلد الثاني - ربيع الأول ١٤١٣هـ.

٦ - الجزء السادس - المجلد الثاني - رجب ١٤١٣هـ.

٧ - الجزء السابع - المجلد الثاني - رمضان ١٤١٣هـ.

٨ - الجزء الثامن - المجلد الثاني - محرم ١٤١٤هـ.

٩ - الجزء التاسع - المجلد الثالث - ربيع الآخر ١٤١٤هـ.

١٠ - الجزء العاشر - المجلد الثالث - رجب ١٤١٤هـ.

١١ - الجزء الحادي عشر - المجلد الثالث - شوال١٤١٤هـ.

١٢ - الجــزء الثــاني عــشــر - المجلد الثــالث - مــحــرم ١٤١٥هـ.

١٣ - الجــزء الثــالث عــشــر - المجلد الرابع - ربيع الآخــر ١٤١٥هـ.

١٤ - الجزء الرابع عشر - المجلد الرابع - رجب ١٤١٥هـ

١٥ - الجزء الخامس عشر - المجلد الرابع - شوال ١٤١٥هـ

١٦ - الجــزء الســادس عــشــر - المجلد الرابع - مــحــرم ١٤١٦هـ.

- الجزء السابع عشر - المجلد الخامس - جمادى الأولى ١٤١هـ.

١٨ - الجزء الثامن عشر - المجلد الخامس- رجب ١٤١٦هـ.

١٩ - الجزء التاسع عشر - المجلد الخامس ذو القعدة ١٤١٦هـ.

٢٠ - الجزء العشرون - المجلد الخامس- صفر ١٤١٧هـ

٢١ - الجزء الواحد والعشرون - المجلد السادس- جمادى الأولى ١٤١٧هـ.

٢٢- الجزء الثاني والعشرون - المجلد السادس- شعبان ١٤١٧هـ.

٢٣ - الجزء الثالث والعشرون - المجلد السادس - ذو القعدة ١٤١٧هـ.

٢٤ - الجزء الرابع والعشرون - المجلد السادس - صفر ١٤١٨هـ.

٢٥ - الجزء الخامس والعشرون- المجلد السابع - جمادى الأولى ١٤١٨هـ.

٢٦ - الجزء السادس والعشرون - المجلد السابع - شعبان ١٤١٨هـ

● **نوافذ « دورية تعنى بترجمة الأدب العالمي»**

١ - الجزء الأول جمادى الأولى ١٤١٨هـ.

٢ - الجزء الثاني شعبان ١٤١٨هـ.

« كتب للمؤلف » :

١ - أمواج واثباج - نقد أدبي .

٢ - في معترك الحياة - موضوعات أدبية

٣ -وتلك الأيام - تجربة صحافية .

٤ - حكاية الفتي مفتاح - سيرة ذاتية .

٥ - الصخر والأظافر - نقد أدبي .

دار للطباعة والنشر
جدة تليفون ٦٧٠٠٣٣٣